ملاحظة: عليكم بإعادة التلخيص بالتركيز على: شروط اختيار المواقع+ضوابط التخطيط والتحصين... بالتوفيق للجميع.

المحور الثالث:

_نماذج من مدن المغربين الأوسط والإسلامي ومدى مطابقتها لشروط اختيار مواضع التأسيس وضوابط التخطيط والتحصين:

أولا- في المغرب الإسلامي:

❖ نموذج؛ حاضرة القيروان:

❖ الموقع والموضع:

القيروان لغة: هي معظم العسكر والقافلة من الجماعة، وقيل أنه لفظ فارسي معرب أصله من كلمة كروان وهو بالفارسية القافلة، وهذا ما رجحه محمد حسن، رغم أن النطق المحلي له، وهو القروان تطابق مع معنى آخر وهو الظهر، وهو ما تناسب بدوره مع موضع المدينة الواقع في سهل فيضي على مرتفع صغير، على أن هذا النطق المحلي لا يغدو أن يكون تخفيفا للاسم الوارد في كل المصادر المكتوبة بنفس الكيفية وهو القيروان، حيث عسكر عقبة بن نافع، وعقبة كان قد استحضر التسمية وهي ليست جديدة، إذ يذكر بن عبد الحكم أن عبد الله بن سعد الذي قتل جرجير في 27هـ/ 647م، رجع إلى مصر ولم يول عليهم أحدا ولم يتخذ بها قيروانا؛ كما استعمل بن عبد الحكم كلمة قيروان عند الحديث عن الفسطاط، وكان معاوية بن خديج قد بنى قيروانا في القرن، ثم رجع قافلا إلى قمونية، وبنى بناحية القرن مساكن وسماها قيروانا، ويتضح من هذا أن فكرة الاستقرار كانت موجودة منذ 45هـ/ 665م، وأن الاختيار تحدد في اقليم قمونية، ولما جاء عقبة بدأ التنفيذ، وقد ظهر من خبر للهمداني أن اسم موضع القيروان هو قمونية. ويعرفها الحموي كالتالي: "القيروان معرب وهو بالفارسية كاروان وقد تكلمت به العرب قديما...والقيروان مدينة مصرت في الاسلام في أيام معاوية، ولم يكن القيروان علما بل اسم جنس يعبر به عن المعسكر"، وقيل الجيش بنفسه.

وقد اختلف في لغة العرب حول لفظ القيروان فقيل هي موضع اجتماع الناس و الجيش واسم الجيش هذا قد أصبح بدون تردد و باتفاق كل القواد الذين شاركوا في تأسيس القيروان علما لعاصمة افريقية، والملاحظ أن هناك تقاربا بين كلمة "القيروان" وأسماء المواضع الأخرى التي ذكرت عند الحديث عن غزوات معاوية بن خديج وأبي المهاجر دينار، حيث نجد شبها واضحا بين القيروان والقرن وتاكروان ودكرور، وقد أضاف ابن عساكر تسمية أخرى بربرية وهي أبتكروان وإن كان يتعلق بالموقع الذي نزله أبو المهاجر وبنى عليه مدينة، إلا أن ابن عساكر يقدم شعر الأحد رجال الفتح وهو زائد بن الصلب الغساني لمدح موسى بن نصير يرد فيه اسم القيروان؛ و قد يكون من الأفضل اعتبار أن تسمية القيروان هي تسمية عربية لا علاقة لها باللغة البربرية. لقد عنون المنجي الكعبي موسوعته باسم "القيروان" وتحدث في فاتحتها عن روعة هذا الاسم ومدلوله يقوله: "سواء أكنت عربي اللسان أم غير عربي اللسان، فان اسم القيروان من سر الفصاحة وسحر الإيقاع ما لا تخطئه الأسماع أو تنكره الطباع، وله مع ذلك من رائع الإيحاء وغريب الاتفاق ما يجمعه ولفظ القرآن الكريم من جامع اللفظ، وما يجمعه كذلك من جامع المعنى والمبنى بلغات الفاتحين، من عرب وعجم و بربر، ما لا يخفى عن الأفهام أو لا يستقيم معه البيان، فهو فارسي معرب وإن شئت بربري معرب بمعنى المعسكر وعظم الجيش، وهو الغرض الأصلي من تأسيس المدينة، مدينة القيروان، قاعدة الفتح في افريقية والمغرب...لقد قيل إن الأسماء هي الأرواح وروح القيروان هي روح دينية قبل كل شيء، فقد كان الإيمان وراء كل شأن من شؤونها، ابتداء من تقنية موقعها للبناء وتأسيس أول قبلة بها، وانتهاء بالدعاء لها بمغالبة الحدثان والخلود مدى الزمان"، وقيل محط أثقال الجيش وقيل هي الجيش نفسه، والمعنى متقارب.

1- مراكز التعمير السابقة لمجيء العرب:

تقع القيروان في سهل فسيح يحده غربا جبل وسلات وشمالا منطقة سهلية (دون 100 متر) ومن الشمال الشرقي إلى الجنوب الشرقي مجموعة من السباخ منها: سبخة الكلبية التي ينتهي إليها واد

زرود ومرق الليل وسبخة سيدي الهاني وسبخة الشريطة وجنوبا سهل ومرتفعات (بين100 و200 متر) تعتبر امتدادا لجبال شراحيل (غرب و شمال قرية سيدي علي بن نصر الله)

وهذا السهل (حوالي 60 مترا فوق سطح البحر) سمته المصادر قمونية، فقد قال المالكي: (وكان في موضع القيروان حصن لطيف للروم يسمى قمونية)، وهو ما أكده أيضا محمد بن علي بن شباط التوزري بقوله: "وتوفت في تلك الغزاة بقمونية بنت عبد الله بن عمر بن الخطاب بموضع من القيروان يسمى اليوم مقبرة قريش"، وذكر صاحب معجم البلدان: "مدينة افريقية كانت موضع القيروان قبل أن تمصر القيروان"، لكن البكري جعل من قمونية كورة توافق كورة قمودة، وأعطي أبو العرب لهذا الاقليم ساحلا وهو "ساحل قمونية". فقمونية إذن هي اسم موضع القيروان قبل تمصيرها أو اسم سهل القيروان في العهد البيزنطي، وكانت أوسع في العهد الروماني خاصة أنها كانت من أملاك الامبراطور وهو ما جعل أحد المؤرخين يعتبرها إقليما شاسعا أو مقاطعة كبيرة فيها حصون وقرى، فهل كانت قمونية إحدى هذه المدن أو القرى الكبيرة، وهو ما يقابل ما ذكره المالكي "حصن لطيف للروم يسمى قمونية"، ويؤيد جون ديبوا فكرة الاقليم: "والمزاقByzacène الغنية كانت تثير شهية جيرانها الرحل من الجنوب وسكان الجبال الغربية وخاصة من طرف قبائل "لواتة"، وبقيت غنية رغم الضرائب الثقيلة والأوبئة، وفي الفترات الحرجة يحتمي المزارعون بالحصون والقلاع، وقد أكدت دراسة حديثة أن قمونية إقليم جغرافي يناسب حوض واد مرق الليل، يحده شرقا القيروان و غربا دوار بيوض، و إذا كان هذا التحديد الجغرافي يناسب العهدين الروماني والبيزنطي، فإننا نرجح أن تكون المصادر العربية تقصد بقمونية قرية أو حصن في موقع القيروان الحالي وأن سهل القيروان (المزاق في المصادر العربية) هو مجال هذه القرية أو المدينة الزراعي. ومن أهم مراكز التعمير قبل مجيء العرب نذكر:

***قمونية:** موضع القيروان، ذكره المالكي...وتؤكد الدراسات الأثرية ما ذكرته المصادر العربية حول وجود تعمير سابق وعدد من السكان استدعى وجودهم بناء كنيسة.

*قصر الماء: ذكره ابن عبد الحكم مرتين عندما عزل عقبة من طرف أبي المهاجر :"فخرج عقبة حتى أتى قصر الماء فصلى" ثم عند الحديث عن عودة موسى من فتح الأندلس "و نزل قصر الماء وضحى هناك"، ولا نعتقد أن هذا القصر قد تم بناؤه من طرف عقبة أو بعده لأن المصادر لم تذكر ذلك.

*موضع رقادة: في سهل خصب في الجنوب الغربي للقيروان، اكتشف فريق من الباحثين على بعد كيلومتر من قصر البحر مقبرة رومانية تحتوي على 78 قبرا و خزف أحمر يعود إلى ما بين القرن الأول و بداية القرن الرابع للميلاد وأكثر من 500 مصباح.

*موضع الأصنام: موضع في جوف القيروان على ثلاثة أميال، ذكرته المصادر عند الحديث عن معركة سنة 124هـ/ 742م ، وذكر التجاني الأصنام في مصب وادي زرود مستشهدا ببيت من الشعر قيل في نسب وشاح بن عامر: صنعت صنيعا ضاع في نجل عامر...كما ضاع في الأصنام واد زرود و وادي زرود في قبلة القيروان بينها و بينه أميال يسيرة، فإذا انتهى إلى الأصنام انتشر في سبخة هناك متسعة ضاع ماؤه، فلم ينتفع به أحد.

*الشريشرة: توجد بقايا قناة رومانية في واد الموتى (ملتقى واد الجريويلة بواد الشريشرة)، وكانت تنقل الماء من بئر الأدين إلى إحدى القرى في سهل القيروان.

*ذراع التمار: هضبة خصبة على بعد حوالي 4 كيلومتر شمال القيروان وكانت المنطقة المحيطة بمدينة القيروان تحتوي على مواقع أثرية أخرى غير هذه المذكورة، فقد تم بناء القيروان من بادئ أمرها بناء متينا أعيد فيه استخدام المواد المحصلة من بقايا المباني القديمة، وهي متوفرة بكثرة في ذلك الموقع.

2- أهمية الموقع و أسباب اختياره:

هل أحسن عقبة بن نافع اختيار موقع القيروان؟ يجيب حسين مؤنس بأن اختيار المكان كان موفقا، وهو يخالف رأي ابن خلدون الذي يرى أن الخراب والانحطاط مصير كل مدينة مصرها العرب، يقول صاحب المقدمة: "والسبب قلة مراعاتهم لحسن الاختيار في اختطاط المدن كما قلناه في المكان وطيب الهواء والمياه و المزارع والمراعي، وانظر لما اختطوا الكوفة والبصرة والقيروان كيف لم يراعوا في اختطاطها إلا مراعي إبلهم وما يقارب من القفر ومسالك الظغن فكانت بعيدة عن الوضع الطبيعي

للمدن و م تكن لها مادة تمد عمرانها من بعدهم"، ويمكن تفسير هذا الرأي بالتطورات الحاصلة في الغطاء النباتي والوسط الطبيعي لناحية القيروان في القرن الثامن الهجري.

والثابت أن مدينة القيروان بنيت في سهل رسوبي خصب، و تعرف المنطقة تساقطات غير منتظمة تتراوح بين 250 و 300 ميلمتر في السنة وهي أمطار عنيفة تسقط في أيام قليلة وتتسبب في فيضانات مدمرة ذكرتها المصادر و تشهدها المنطقة دوريا.

إذن كان اختيار موقع القيروان مرتبطا بظروف الانتشار العربي وهي من المدن المستحدثة (الأمصار) أي نتيجة عمل إرادي اختياري لشخص اختار موقعها وسطر حدودها وارتأى شكلها المستقبلي، فهل كان الاختيار لعقبة فقط أم هناك من ساعده في ذلك؟ و هل كان الخليفة معاوية بن أبي سفيان بعيدا عن قرار تمصير القيروان؟ يبدو أن معاوية كان يعطي لولاته وقواده حرية التصرف.

لقد كانت المنطقة قليلة العمران فيما يبدو، فهل كانت ملكية عمومية هجرها مستغلوها نحو المدن الساحلية: كسوسة (Hadrumatum) وغيرها أو أنها مهجورة نتيجة النهب الذي تعرضت له، فأقفرت من أهلها بعد خروج القبائل البربرية الكبيرة في المزاق وجهة طرابلس في السنوات الأخيرة من الحكم البيزنطي عن حكم قرطاج، و قد زاد هلاك جرجير وسقوط عاصمته سبيطلة في الفوضى و الخزازات المزمنة؟ ومنطقة القيروان ليست بعيدة عن خط الدفاع الثاني الذي يستند لسلسلة جبال الظهرية التونسية، وكان يتكون من قلاع و حصون في سبيبة و ممس و جولاء، و يتجلى فراغ المنطقة من السكان حسب أحد الباحثين في تناقص عدد الأسقفيات. ومهما يكن من أمر، فإن منطقة القيروان على طريق القوافل و هي الممر الجيد للوصول إلى افريقيا القديمة، و قد احتوت على مجموعة من الآثار والمستغلات الفلاحية قبل مجيء المسلمين.

وهذه المنطقة التي ذكرنا سابقا أنها سهل فيضي تحيط بها غابة زيتون ومجال رعوي وهي بعيدة عن البحر تحاشيا لهجوم بيزنطي مفاجئ وهي على اتصال بالفسطاط (قاعدة الارتكاز) وأيضا بعيدة عن المدن القديمة التي كان العرب يخافون الذوبان و الانصهار فيها.

ولا يستبعد أن يكون عقبة قد شارك مع أبيه في فتح مصر، كما أرسله عمرو بن العاص لفتح الواحات وأقام في طرابلس وبرقة وفزان وبلاد كوار، وكان من القادة العرب المطّلعين على شؤون البلاد، ولا شك أنه كان يتابع تحركات الأسطول البيزنطي في المتوسط ويعرف سيطرة البيزنطيين على هذا البحر ثم إنه اتعظ من الحملات السابقة وأدرك الصعوبات التي واجهتها في فتح افريقية وقد يكون الخليفة معاوية بن أبي سفيان أو واليه على مصر مسلمة بن مخلد أمده ببعض التوصيات لذلك كله دخل عقبة بن نافع افريقية بمشروع طموح: إنهاء مرحلة المد والجزر التي ميزت حملات الفتح السابقة والتأسيس لمرحلة جديدة: إدخال افريقية في الدولة الإسلامية وتركيز حامية بها تضع حدا لنقض البربر لعهودهم كلما عاد جيش الفتح إلى الفسطاط أو المشرق "فجمع إليه من أسلم من البربر وضمهم إلى الجيش الوارد من معاوية (عشرة آلاف) وسار إلى افريقية، ونازل مدنها فافتتحها عنوة ووضع السيف في أهلها وأسلم على يديه خلق من البربر".

ويذكر صاحب معالم الإيمان أن عقبة قتل من بها (افريقية) من الروم وأصناف البربر والأفارقة وقال لأصحابه: "إن افريقية إذا دخلها أمير تحرم أهلها بالإسلام، فإذا خرج منها رجعوا إلى الكفر، و إني أرى أن أتخذ بها مدينة نجعلها معسكرا وقيروانا، تكون عزا للإسلام إلى آخر الدهر"، ويؤكد قول بن ناجي من وجود تصور في ذهن عقبة بن نافع وربما أيضا الخليفة معاوية بن أبي سفيان لمستقبل افريقية لذلك بدأ في انجاز ما قرر وقد وصل، بجيشه إلى ناحية القيروان.

ولم يكن عقبة أول من فكر في الاستقرار في هذه الناحية، لقد مر بها عبد الله بن سعد ووصلها معاوية بن حديج، وقد اتخذها معسكرا في غزوته الثالثة الهامة (45هـ/ 665م)؛ كما اقتحم فيها حصن جلولاء الذي يبدو أنه آخر المعاقل الحصينة لبيزنطيي افريقية في المزاق و بسببه اتخذ "قيروانا" حول القرن لكن هذا المكان لم يعجب عقبة فركب و الناس معه حتى أتى موضع القيروان اليوم، وكان قد اتفق مع الناس والأغلب أن يكونوا من صحابة رسول الله صلى الله عليه و سلم أن يكون أهلها

مرابطين[1]. إذن لقد جعلت هذه المدينة لحماية طريق مصر وهي التي يجب أن تبقى مفتوحة للمدد وصالحة للانسحاب.

ومهما يكن من أمر فإن الموضع الذي اختير لبناء القيروان لم يقع اختياره اعتباطيا وأن عملية الاختطاط والبناء لم تكن عفوية، بل أن الظرف الزماني كان ملائما لانتصاب القيروان في ذلك الموضع النهائي، حيث أن منطقة "بيزسان" أو كورة مزاق قد هانت للعرب بعد معركة سبيطلة التي فتحت المجال بسيطرة العرب على الجزء الجنوبي للبلاد التونسية بعد أن انسحب الروم وانكمشوا وراء خط دفاعهم الثاني الذي يفصل بينها وبين كورة افريقية القديمة، وحسب تقدير محمد الطالبي نتبين العلاقة بين موضع القيروان والمسالك التي اتخذها العرب في سيرتهم إذ أن المسالك التي تتجنب الجبال والسواحل كلها تمر حتما بموضع مدينة القيروان اليوم وإلى جانب كون الموضع يمثل ملتقى للطرقات القادمة من المشرق ويشرف على جزء هام من البلاد يبرزا اختياره دراية استراتيجية متجسدة في القادة العرب الذي رأوا أن أحسن مكان ينشؤون به قاعدة الانطلاق، هي منطقة القيروان...

وتشير المصادر أن مؤسس القيروان حاول أن يراعي جملة من القواعد المعروفة يومئذ خلال تأسيسه للمدينة، من ذلك مواصلة سنة الاختطاط أي بناء مدن الهجرة كالكوفة و البصرة والفسطاط...و مراعاة النواحي الأمنية من خلال توسطها بين الجبال والسواحل وتقريبهما من السبخة من جهة ثانية، فهذا بن عبد الحكم يوضح ذلك متكلما على لسان عقبة فيقول: "أني أرى أكثر دوابكم الابل وهي ابلنا على باب قصرنا في مراعيها آمنة من عادية البربر والنصارى".

[1]– و يواصل ابن عذارى النقاش الذي دار بين عقبة و أصحابه حول الموقع: "و قالوا: نقرب من البحر ليتم لنا الجهاد و الرباط، فقال عقبة إني أخاف أن يطرقها صاحب القسطنطينية بغتة، فيملكها، و لكن اجعلوا بينها و بين البحر ما لا يدركها صاحب البحر، إلا و قد علم به، و إذا كان بينها و بين البحر مالا يوجب فيه التقصير للصلاة، فهم مرابطون، فلما اتفق رأيهم على ذلك قال: قربوها من السبخة فإن دوابكم الإبل، و هي التي تحمل أثقالكم فإذا فرغنا منها لم يكن لنا بد من الغزو و الجهاد، حتى يفتح الله لنا منها الأول فالأول، وتكون إبلنا على باب قصرنا في مراعيها، آمنة من عادية البربر و النصارى، ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ج1، ص 19– 20.

ويجدر بنا أن نلاحظ أن القيروان قد تأسست في ظرف كان فيه جزء هام من افريقية غير خاضع للسيطرة العربية، و بذلك تكون المدينة تهديدا مباشرا للقبائل البربرية أكثر منها إلى القوات البيزنطية كما تجسد هذه المدينة إرادة جديدة و قطيعة مع الماضي بالنسبة إلى افريقية...

وانطلاقا من هذا المستوى ستأخذ المنطقة طريقها نحو الأسلمة والتعريب أي الاخضاع العسكري والسياسي والاداري الايديولوجي الشيء الذي لم يتم بالسهولة المتوقعة، ولنا أن نتساءل إلى أي مدى استجابت مدينة القيروان إلى الأهداف التي يرمي إليها العرب من خلال تشييدها في تلك الظروف و في ذلك الموضع، ويمكن تلخيص الأهداف في النقاط التالية:

* ضمان عملية الفتح والإلحاق و الاخضاع انطلاقا من القيروان حيث ستصبح القيروان مركز الانطلاق للحملات نحو الغرب.

* تدعيم النفوذ السياسي والإداري العربي من خلال جعل القيروان عاصمة للإقليم المفتوح.

كل هذه الأهداف ستتأكد رغم الأزمات التي ستشهدها القيروان.

فكيف تم تأسيس القيروان؟ و ما هي الخطط التي وضعت عند التأسيس؟

3- تصميم وتخطيط المدينة وتمصيرها:

لقد تغيرت الاستراتيجية العربية تجاه افريقية إذ لا مجال للكر والفر ولا مجال للاكتفاء بالغنائم والأسلاب بل أن النية بدأت تتجه نحو الاستقرار من خلال تشييد مدينة جديدة تكون نقطة ارتكاز ومركزا متقدما يوفر امكانية التراجع والاستراحة بالنسبة إلى المقاتلة ومخزنا للأسلحة ومقرا للظغن والمؤن والعدة والعتاد، أي بعبارة أخرى مركزا عسكريا يوفر عدة حاجيات "لوجيستيكية" ظرفية مرتبطة بتوغل الجيش ويوفر حاجيات إدارية وسياسية ويضمن السيطرة العربية على المنطقة عسكريا وإداريا وسياسيا.

وقد برزت هذه النية في فترة ولاية عقبة بن نافع مؤسس القيروان وأول قائد عربي يتوغل باتجاه الغرب حتى المحيط الأطلسي. لقد اختار عقبة موضع القيروان لأسباب استراتيجية و طبيعية و كان تمصيره لهذه المدينة لا يخلو من مغزى سياسي أصبح من تقاليد قواد الجيوش العربية بعد فتوحاتهم تأسيس مدينة إسلامية خاصة بعناصر الجيش الفاتح و أبنائهم و أحفادهم على غرار الكوفة والبصرة

و الفسطاط، و قد ذكر عقبة بمفخرته هذه أمام معاوية بن أبي سفيان بعد عزله سنة 55هـ/ 675م: "فتحت البلاد وبنيت المنازل و مسجد الجماعة و دانت لي، ثم أرسلت عبد الأنصار فأساء عزلي".

ومرت عملية التمصير بالمراحل التالية: التنقية والاختطاط، إذ بعد اتفاق عقبة وأصحابه على المكان أمر بقطع شجره وحرقه، واختط في ذلك الموضع، ومثل العديد من المدن أحيط تأسيس القيروان بأسطورة عقبة المستجاب الذي نادى السباع والوحوش بالارتحال مدة ثلاثة أيام، و نتساءل هل تكفي الأيام الثلاثة لوضع الخطط و المناهج و التحضير لبناء المصر الجديد؟

قد تكون كافية للتنقية ووضع الخطط والمناهج والتحضير لبناء المصر الجديد، والمرجح أن الأيام الثلاثة كافية لاختطاط المؤسستين اللازمتين لكل مصر اسلامي المسجد الجامع و دار الإمارة.

و قد رأينا عند الحديث عن الموقع أن عقبة لم يعجب بالقيروان الذي كان معاوية بن حديج بناه، وذلك لأن له فكرة تأسيس مصر جديد يكون بعيدا عن مباغتات البحر، و مركزا لانطلاق الجنود، وهذه الفكرة مصاحبة لعقبة داخلة في مشروعه (غزو افريقية) فما هو مفهوم المصر عند عقبة؟

كان عقبة يعرف أهمية إقامة مدينة القيروان إذ كان يرى أن يتخذ مدينة يكون بها عسكر المسلمين وأهلهم وأموالهم ليأمنوا من ثورة تكون من أهل البلاد، وقد يكون عقبة بحث هذه المسألة مع مرافقيه من الصحابة والقواد ولاشك أنه أعلم الخليفة معاوية بن أبي سفيان (40- 60هـ/ 660- 681م) بمشروعه و طموحاته في إرساء الإسلام في بلاد وجد القادة السابقين له صعوبة في تمهيدها، ولا بد أنه فكر في الأموال التي ستصرف في البناء والتهيئة التي نرجح أنها كانت من أموال الفتح إذ فتح عقبة مغمداس وودان وجرمة وقصور فزان وكوار وقصر خاوار وأرض مزاتة وغدامس وقفصة وقسطيلية، وعموما فإن عقبة لا يختلف عن قادة الإسلام الأوائل مؤسسي المدن سعد بن أبي وقاص وعمرو بن العاص الذي يرجع إليه كثير من الفضل في ظهوره على مسرح التاريخ، فما هو مفهوم المصر لدى الفاتحين الأوائل؟

المصر: الحاجز و الحد بين الشيئين، و قال الليث (بن سعد)، المصر في كلام العرب كل كورة تقام فيها الحدود ويقسم فيها الفيء والصدقات من غير مؤامرة للخليفة الجوهري فلان مصر الأمصار كما يقال مدن المدن، و المصران الكوفة و البصرة.

وهذا التعريف ينطبق على مدينة القيروان فهي مدينة مستحدثة في طرف البر، ارتبطت بالسلطة السياسية وبظروف الفتح و هي من هذه الناحية لا تختلف عن البصرة سنة 16هـ/ 637م والكوفة سنة 17هـ/ 638م و الفسطاط.

ونلاحظ أن ظاهرة التمصير لم تختص بها القيروان بل هي ظاهرة عامة تزامنت مع الفتوحات الاسلامية والهجرات التي تلتها أو التي صاحبتها، فكيف تم تصميم و تخطيط مدينة القيروان؟

والسؤال الذي يتبادر إلى أذهاننا هو إلى أي مدى ينطبق مفهوم مصطلح المدينة في المنظومة الحضارية الاسلامية على القيروان هذه المدينة "المصر" التي أصبحت تتمتع بكل مقومات المدن الاسلامية من مسجد ودار إمارة وخطط..و يعد المسجد إلى جانب دار الإمارة ضرورة حيوية لوجود المدنية الاسلامية لما يكتسيه من صبغة دينية و ثقافية بالنسبة إلى المسجد و من طبيعة سياسية وإدارية بالنسبة دار الإمارة و م تشذ القيروان عن القاعدة العامة لتأسيس المدن وتطورها، إلى جانب البعد المقدس التي اختصت به القيروان، حسب ما تشير إلى ذلك المصادر، نظرا لكونهما أول مدينة اسلامية في شمال افريقيا...وقبل تأسيس القيروان لم يكن بافريقية قيروان و لا مصر جامع ويعود الفضل إلى عقبة بن نافع مؤسس ومخطط المدينة وإليه يعود الفضل في إضفاء الصبغة القدسية على مدينة من خلال الدعاء لها لما يروي الرقيق القيرواني: "ركب في وجوه العساكر و التابعين والعتاد فدار بهم حول مدينة و أعمرها بالمطيعين العابدين"، و يذكرنا تصرف عقبة بما كان يفعله مؤسسو المستعمرات اليونانية "oikistès" الذي يقود جماعة من المهاجرين باتجاه موضع ملائم لتأسيس مدينة مستعمرة تحت اشراف إحدى المدن اليونانية..و كان عقبة هو الذي غزا افريقية و اختط القيروان.

على حد رواية البلاذري: "و كان أول من بناها عقبة بن نافع الفهري، اختطها ثم بنى و بنى الناس معه الدور و المساكن و بنى المساجد الجامع بها، و هذا عقبة بن نافع يخاطب معاوية معاتبا، بعد أن عزل عن الولاية: فتحت البلاد و دانت لي بنيت المنازل و اتخذت مسجد الجماعة و سكنت الناس، ثم أرسلت عبد الأنصار فأساء عزلي".

لقد اختطت القيروان بعد فترة طويلة من بناء الكوفة و البصرة و الفسطاط، و رغم أن اختطاط الكوفة يعتبر ابتكارا فإنه يعود إلى جذور قديمة بابلية أساسا، و هو جيد من حيث التصور و الإنجاز يراعي التركيبة القبلية للعرب الفاتحين، و قد أخذت الجوانب الدينية و السياسية و الحياة الجماعية بعين الاعتبار عند تأسيس الأمصار الاسلامية، و نعتقد أن بناء البصرة كان أول تجربة لتخطيط المدن في العصر الاسلامي الأول، وقد استفاد المسلمون من هذه التجربة، استفاد المسلمون لما قاموا بتخطيط الكوفة المربعة الشكل، وكان أول شيء خط بالكوفة وبني المسجد في مربعة غلوة من كل جوانبه، وكذلك عندما اختطوا الفسطاط ثم القيروان، وقد فرض أمير المؤمنين عمر بن الخطاب على القادة الفاتحين: "لا يزيدن أحدكم على ثلاث أبيات، و لا تطاولوا في البنيان، و الزموا السنة تلزمكم الدولة، كما أنه أمر بالمناهج أربعين ذراعا وما يليها ثلاثين ذراعا، وما بين ذلك عشرين، و بالأزقة سبع أذرع، و في القطائع ستين ذراعا إلا الذي لبني ضبة".

فهل تواصل العمل بتوصيات عمر بن الخطاب عند اختطاط القيروان؟ يجب التأكيد هنا أن الأمصار الثلاثة الأولى بنيت في عهد عمر و كان يحاسب قواده و ولاته عن كل كبيرة و صغيرة، أما معاوية بن أبي سفيان الذي بنيت في عهده القيروان فإنه كان يستعمل من سانده في صراعه ضد علي أي "العثمانية" و بالنسبة لمصر قاعدة الارتكاز لفتح افريقية فقد استعمل أكثر العثمانية تشددا معاوية بن حديج و مسلمة بن مخلد و قبلها عمرو بن العاص الرأس المدبر لحزب العثمانية أثناء الفتنة الكبرى، لكن هل كان عقبة مثل معاوية بن أبي سفيان في الأبهة القياصرة في الحكم و العيش؟

تجمع المصادر على تعلق عقبة بالفتوح والغزوات فقد قال لأولاده عندما عزم على غزو المغرب في ولايته الثانية: "إني قد بعت نفسي من الله، ولست أدري أتروني بعد يومي هذا أم لا لأن أملي

الموت في سبيل الله"، وكانت السنوات التي قضاها في افريقية مغازيا البربر، متنقلا بين قبائلهم وواحاتهم، فرصة لتنمية مواهبه الحربية".

هل كانت هذه الخصال حاضرة عند تأسيس مدينة القيروان؟ هذا ما سنراه من دراسة تصميم المدينة، فهذا المعسكر الذي اتخذه جيش الفتح تحول تدريجيا إلى مدينة، و لكنه لم يكن مثل مساكن معاوية بن حديج في القرن بما أنه اختط ليكون مصرا يأوي جيشا كبيرا لفتح منطقة شاسعة و مجهولة نسبيا بالنسبة للعرب (المغرب) فما فعل عقبة عند بدء التأسيس؟

بعد اختيار الموقع و الموضع و حرق الأشجار و التشاور مع الصحابة المرافقين، أمر الناس بالتنقية والخطط و نقل الناس من الموضع الذي كان معاوية بن حديج نزله إلى مكان القيروان" وهذه التنقية تتطلب عدة أيام و كذلك نقل الناس بأثقالهم و إبلهم، و في هذه المرة فكر في الخطط، والمرجح أن عقبة استذكر خطط الفسطاط التي يعرفها جيدا و قد يكون استشار الصحابة الذين يعرفون الكوفة و البصرة حول الخطط و الطرق و المناهج و السكك و الساحات.

لكننا نعتقد أنه رجح خطط الفسطاط بالنسبة للقبائل و لم يتجاوز توصيات عمر في الطرق والمناهج، فاختط أولا دار الإمارة ثم أتى إلى موضع المسجد الأعظم، فاختطه و لم يحدث فيه بناء، وكان يصلي فيه و هو كذلك.

و يقدم لنا المالكي توضيحا هاما حول مكان دار الإمارة إذ يقول: "و بنى دار الإمارة التي في قبلي الجامع"، وهذا يؤكد التواصل في تخطيط المدن الإسلامية من الكوفة الى القيروان: تركيز مؤسستي السلطة الدينية و المدنية وهو ما يمثل مركز المدينة الجديدة، و هذا المركز كان مربعا اعتمادا على الاشارة التالية:

– وجود أمصار سابقة مثل الكوفة التي كان جامعها مربعا والذي ترك في "مربعة غلوة من كل جوانبه" وكان مركز المدينة مربعا و يضم الى جانب الجامع و القصر الرحبة و الآري و السوق.

– بناء الجامع كأول مؤسسة كان تقليدا للرسول في المدينة و كان شكل مسجد الرسول مربعا ويؤثر وسط المدينة في بقية مكوناتها، و قد وردت المصادر ما يؤكد أن مدينة عقبة الأولى كانت مربعة:

"تكون أقل من ثلاثة أميال في مثلها بلا سور، الجامع بموضع يسمى السماط الكبير وسط الأسواق في سرة البلد"، و هذه الأبعاد تتناسب مع ما روي عن سحنون (ت 240هـ/ 854م) الذي كان يتعجب و يقول مثل هذا البلد لا يكون له قدر ثلاثة أميال من كل ناحية، لكن البكري كان أكثر دقة في وصفه للمدينة إذ قال: "و كان سماط سوق القيروان قبل نقله إلى المنصورية متصلا من القبلة إلى الجوف، و طوله من باب أبي الربيع إلى الجامع ميلان غير ثلث و من الجامع إلى باب تونس ثلثا ميل، و كان سطحا متصلا فيه جميع المتاجر و الصناعات، و كان أمر بترتيبه هكذا هشام بن عبد الملك"، و ليس هناك تناقضا بين الإشارات الثلاث، فالمسافة التي يذكرها البكري مجمعة هي ميلان و ثلث أي 3 كيلومتر و 757 مترا اعتمادا على أن ميل البكري يساوي 1610مترا، و يتفق سحنون مع المقدسي في أن ضلع المدينة لا يتجاوز ثلاثة أميال أي دون 4830م إذا اعتمدنا ميل البكري و دون 4440م إذ اعتمدنا الميل الروماني (1480م))، و قد يفسر النقص الملاحظ في الأبعاد التي ذكرها البكري بتطور المدينة إذا كان الترتيب فعلا من وضع هشام (105- 125هـ/ 724- 743م) لكن الإشارة الصريحة حول انقسام مدينة القيروان إلى أربعة أجزاء يفصلها شارعان رئيسيان متعامدان: الكاردو و الديكومانوس، ذكرها المالكي: "مربع السماط" الذي ذكر في مكان آخر باسم "الشارع الأعظم" و أيضا باسم "سماط القيروان" أو "السماط الأعظم" و مربع السماط هي الرحاب التي كانت تعترضه و تتفرع منها السكك الجانبية، و يرجح محفوظ الغديفي الشكل المربع للمدينة لوجود 4 أبواب أصلية، وقال صاحب البيان ثم أخذ الناس في بناء الدور و المساكن و المساجد، و عمرت وشد الناس إليها المطايا من كل أفق و عظم قدرها، و كان دورها ثلاثة عشر ألف ذراع و ستمائة ذراع حتى كمل أمرها، ويقول الطبري أن عقبة هو أول الناس اختطها وأقطعها للناس مساكن و دورا و بنى مسجدها دون أن يعطينا أرقاما لكن ابن الأثير يقول أن عقبة أمر ببناء المدينة فبنيت و بنى المسجد الجامع و بنى الناس مساجدهم و مساكنهم و كان دورها ثلاثة آلاف باع وستمائة باع، و تم أمرها سنة خمس و خمسين و سكنها الناس، و تجدر الإشارة أنه وقع توزيع الخطط داخل المدينة على غرار ما وقع في الكوفة و البصرة و ذلك حسب التقسيم القبلي للمقاتلة و عائلاتهم.

و من إشارات المصادر السابقة نفهم تقسيم المدينة الجديدة إلى خطط، فكيف كانت خطط القيروان؟ و هل يمكن تحديد الفضاء الجغرافي و البناء المورفولوجي للمدينة بالقدر الذي تسمح به المعلومات المتوفرة؟

خص عقبة كل قبيلة أو عشيرة بحي مستقل، قال المالكي: "أمرهم أن يقتطعوا و يختطوا"، يبدو أن المعنيين بالأمر هم رؤساء العشائر أو العرفاء الذين يبدو أن دورهم كان كبيرا في التهيئة والتقنية و تقسيم الخطط.

قلنا أن عقبة اتبع في تخطيط المدينة نفس الطريقة التي اتبعها الفاتحون من قبله عندما أنشأوا الكوفة و البصرة و الفسطاط و خص كل قبيلة بخطة مستقلة، فما هي الخطط والمنشآت العمرانية لمدينة القيروان؟

و للإجابة على هذا السؤال يمكن تقسيم هذه المنشآت إلى منشآت دينية و مدنية و فكرية ومنها:

1- العمارة الدينية: و يأتي في مقدمتها:

- **المسجد الجامع:** اختطه عقبة ولم يحدث فيه بناء، و كان يصلي فيه و هو كذلك، فاختلف عليه الناس في القبلة، و يضيف البكري الذي نقل عن مصادر مفقودة الآن، أهمها تاريخ الرقيق وغيره أن أول من وضع محرابه و بناه عقبة بن نافع ثم هدمه حسان بن النعمان حاشى المحراب، نرجح أن عقبة بنى الجامع، و لم يبن المحراب، و قد يكون جامعا كبيرا يتسع لآلاف المصلين (جيش عقبة وأهالي أفراد هذا الجيش وأتباعهم وعبيدهم) لكنه قد يكون بسيطا من حيث المواد المستعملة في بنائه لأنه لا يمكن أن تؤسس مدينة و يدوم تأسيسها خمس سنوات دون أن يكون للمسلمين مسجد جامع، ثم أن عقبة ذكر ذلك للخليفة معاوية بعد عزله: "فتحت البلاد و بنيت المنازل و مسجد الجماعة"، و قد ذكرت المصادر اختلاف الناس في القبلة، و قالوا: "إن جميع أهل المغرب يضعون قبلتهم على قبلة هذا المسجد فأجهد نفسك في تقويمها"، فأقاموا أياما ينظرون إلى مطالع الشتاء والصيف من النجوم و مشارق الشمس، و بعد رؤية ركز لواءه وقال: "هذا محرابكم"، و نلاحظ هنا التحري في وضع قبلة

الجامع، فرغم معرفة العرب بالبلاد أثناء فتوحات العرب السابقة و قد دامت سنوات، فإنهم أقاموا أياما و أنا أقول أشهرا لذكر المصادر للصيف والشتاء و لكن القرار الأخير اتخذه عقبة و لم يكن صائبا فمحراب مسجد القيروان منحرف عن القبلة نحو الجنوب بخمسة عشر درجة، و تضيف المصادر أن هذا الجامع اقتدت به سائر مساجد المدينة، و لم تذكر شيئا حول الجامع خلال الفترة المتراوحة بين عزل عقبة و مجيء حسان الذي أكمل فتح افريقية و جزء هام من المغرب، فكان يقسم الفيء بينهم (العرب و البربر) و دون الدواوين و أمر بتجديد بناء المسجد الجامع، فبناه بناء حسنا، و جدده في شهر رمضان سنة أربع و ثمانين، و يضيف البكري أن حسان حمل إليه الساريتين الحمراوين الموشاتين بصفرة اللتين لم ير الراؤون مثلهما من كنيسة كانت للأول في الموضع المعروف اليوم بالقيسارية بسوق الضرب، و يقولون إن صاحب القسطنطينية بذل لهم فيهما قبل نقلهما إلى الجامع زنتهما ذهبا، فابتدروا الجامع بهما، و لم يطرأ على جامع عقبة أي تغيير إلى حين زمن هشام بن عبد الملك، إذ كتب إليه عامله بشر بن صفوان الكلبي على القيروان يعلمه أن الجامع يضيق بأهله و أن بجوفيه جنة كبيرة لقوم من فهر، فكتب إليه هشام يأمره بشرائها و أن يدخلها في المسجد الجامع، ففعل و بنى في صحنه ماجلا و هو المعروف بالماجل القديم بالغرب من البلاطات، و بنى الصومعة في بئر الجنان و نصب أساسها على الماء، واتفق أن وقعت في نصف الحائط الجوفي.

● **مساجد أخرى مشهورة:** باعتبار القيروان مدينة المساجد، فقد ذكر ابن عذارى متحدثا عن تأسيس القيروان وجامع عقبة، ثم أخذ الناس في بناء الدور والمساكن والمساجد، وعمرت، وشد الناس إليها المطايا من كل أفق، وعظم قدرها، فما هي المساجد التي بنيت في الفترة الأولى من تاريخ القيروان؟ و ما هي مساجد القيروان بصفة عامة؟

ذكرت المصادر مجموعة هامة من المساجد وجدت في خطط القبائل، وبعضها ما زال موجودا إلى الآن، ولا شك أن المساجد الأولى كانت بسيطة، ولم تصمد أمام عوامل الطبيعة والمساجد الباقية تعود دون شك إلى فترات لاحقة وقد خضعت إلى ترميمات وإصلاحات كثيرة عبر العصور لكن

الأماكن قد تكون هي نفسها بالنسبة إلى المساجد الهامة المشهورة و التي ذكرتها كتب الطبقات، ومن هذه المساجد:

- **مسجد الأنصار**: أو جامع الأنصار،- **مسجد الزيتونة**: بناه سنة 93هـ/ 712م إسماعيل بن عبيد الأنصاري التابعي، -**مسجد عبد الرحمن بن اسميفع بن وعلة السيائي**،-**مسجد أبي فتح**،

- **مسجد البهلول بن راشد**،-**مسجد عبد الله بن أبي حسان اليحصبي**،-**مسجد بن أبي نصر**،

- **مسجد عون بن يوسف الخزاعي**،-**مسجد المقرعة**: لعله نسب إلى أبي جعفر بن منصور،- **مسجد محمد بن سحنون**،-**مسجد عبد الجبار السرتي**: من تلامذة سحنون،-**مسجد السبت**: و يعرف بمسجد الدمنة، و هو بالدمنة، منسوب لأبي محمد الأنصاري،-**مسجد أبي ميسرة**،- **مسجد حنش الصنعاني**: أنشأه التابعي حنش بن عبد الله الصنعاني (توفي بالقيروان سنة 100هـ/ 718م)، وهذا التابعي ولاه حسان بن النعمان على صدقات الناس بالقيروان، والمسجد الحالي أقيم على أنقاض المسجد الذي اختطه حنش بنفسه.- **مسجد علي بن رباح اللخمي**...وغيرها كثير.

المنشآت الدينية غير الاسلامية: عاشت في القيروان منذ تأسيسها أقليات غير اسلامية جلبتها التجارة أو العمل في مدينة بدأت تستقطب الكفاءات من أهل البلاد الأصليين للعمل في الدواوين قبل تعريبها مثل دار الضرب، و لما ازداد عدد هذه الأقليات المسيحية طالبت بإنشاء كنيسة، فقد طلب قسطاس النصراني من الفضل بن روح بن حاتم أن يأذن له في بناء كنيسة، فأذن له، فبنى الكنيسة التي يقال لها كنيسة قسطاس وقد تكون هناك كنائس أخرى للمسيحيين، وليس من الغريب أن توجد بيعة لليهود أو بيع بما أنه قد وجدت سوق لليهود.

- **المصليات**: هي الشكل الأول للمسجد: "فهي عبارة على ساحة متسعة مربعة في الغالب يحيط بجهاتها الأربع جدار قصير الارتفاع من غير سقف، و في قبلتها محراب بسيط الوضع و قد خصصت هذه المعالم للاجتماعات العامة كصلاة العيدين، و الاحتفال بالمواسم، و بيعة الأمراء و غير ذلك من المواكب التي تستدعي ساحات متسعة لاحتواء أعداد كبيرة من الناس". ومن أشهر المصليات:

- **مصلى باب نافع**: عند باب نافع، شرق جامع عقبة و قرب مقبرة باب نافع.

- **مصلى باب سلم**: و هو بقرب باب سلم مقبرة قريش (الجناح الأخضر حاليا) التي دفن فيها يزيد وروح أبنا حاتم المهلبي و لعله أيضا مصلى العيد.

- **مصلى روح**: بباب أبي الربيع، في الطرف الشرقي من شارع السماط الكبير بين الوادي و الباب.- **مصلى الجنائز**: عند باب تونس قرب آبار حديج.

وبهذه المصليات كان الولاة والأمراء يصلون على جنائز كبار العلماء لقربها من أبواب المدينة والمقابر، وقد لعبت هذه المصليات أدوارا أخرى كتجميع الجيوش أو الاستعداد للثورة فقد عسكر تمام بن تميم، عند مصلى روح بن حاتم، كما خرج أبو العرب و خرج جميع الفقهاء ووجوه التجار إلى المصلى بالسلاح الشاك والعدة العجيبة التي لم ير مثلها، وضاق بهم الفضاء في إطار ثورتهم على الفاطميين مع أبي يزيد مخلد بن كيداد.

2- العمارة المدنية: و في مقدمتها نذكر:

- **دار الإمارة**: اختطها عقبة بن نافع في قبلي الجامع الأعظم، و اتخذ لها من الخمس ما يتخذ الأمراء لحرس المسلمين، وأعاد حسان بن النعمان بنائها أو ربما قام بتوسيعها في نفس الوقت الذي كان فيه يجدد جامع عقبة لأنه يعتبر المنظم لولاية افريقية، وتوفرت لديه الأموال واستطاع أن يفرض الأمن والاستقرار ومهد افريقية ووضع الخراج على البربر والعجم و هذا يتطلب مقرا للدواوين، وكانت هذه الدواوين حول دار الإمارة التي لا بد أن تكون قد توسعت إن لم تكن تجددت وكانت تضم مختلف مصالح الحكومة مثل ديوان الخراج و الجند و الرسائل و ديوان العطاء، وقد دامت مقر الحكومة ومسكن الولاة من طرف الأمويين والعباسيين إلى أن انتصبت الدولة الأغلبية لأن ابراهيم بن الأغلب اشترى موضع القصر القديم وابتنى قصرا وانتقل من دار الإمارة و صار إلى قصره بعبيده وأهله وحشمه وأهل بيته، وأضحت دار الإمارة خاصة للدواوين ومقرا لعامل القيروان في عهد الأغالبة

● **منشآت مدنية هامة أخرى:** إن الخطط في القيروان شملت القرشيين ومواليهم والأنصار ومواليهم، وبذلك تكون خطط القيروان متطابقة مع خطط الكوفة لكن خطط قريش والأنصار ومواليهم في القيروان عوضت منازل الصحابة والأمراء والوجوه.

وكان لكل قبيلة مسجدها ورحبتها (ساحتها)، فكيف توزعت بقية القبائل على باقي فضاءات المدينة؟ ونظرا لتعذر رسم مخطط عمراني لكل قبيلة في فضاءات القيروان نفترض المخطط التالي والمنشآت التالية:

● **المسالك والممرات والطرق:** والتي تنقسم بدورها إلى قسمين:

- **المناهج الرئيسية:** وعلى غرار الكوفة كانت القيروان تضم شارعين رئيسيين يلتقيان في الفضاء المركزي "مربع السماط" الذي كان يضم المسجد الجامع ودار الإمارة و الرحاب المحيطة بهما، والرحبة وجدت في كل الأمصار الاسلامية، و سميت في القيروان "رحبة التمر"، و قدم البكري وصفا دقيقا للسماط، و كان سطحا متصلا فيه جميع المتاجر والصناعات، فهل كانت السكك متشابهة لهذا الشارع الرئيسي الشهير؟ و هل حافظت على اتساعها و ترتيبها الأولي؟

قد تكون الشوارع الأولية متوازية مع السماط و مع الطريق المتعامد معه، و نعتقد أن سكك القيروان كانت متشابهة لسكك الكوفة و إن توصية عمر أخذت بعين الاعتبار من طرف الصحابة والتابعين الذين كانوا مع عقبة، و لا ريب أن المناهج كان كثيرة و كذلك الأزقة و الدروب، و قد ذكرت المصادر بعضها.

- **الأزقة و الدروب:** فمن الأزقة ذكرت المصادر **زقاق ابن دينار، زقاق بني غانم، زقاق الروم، زقاق السقطين، زقاق الفرانين،** و **زقاق ابن حسنة،** وكانت القيروان تضم في فترة تدوين المقدسي لكتابه أحسن التقاسيم (حوالي 375هـ/ 986م) خمسة عشر دربا منها الدروب التي تحمل أسماء الأبواب المفضية إليها و هي:- **درب الربيع**.- **درب عبد الله:** ينسب لعبد الله بن الزبير - **درب تونس**.- **درب أصرم**.- **درب أسلم**.- **درب سوق الأحد:** يقع غربي المدينة و هو من أكبر أسواق

القيروان، تباع بها الأقمشة والفخار.- **درب نافع:** يفضي إلى باب نافع و يقع في خطة قريش وينسب إلى نافع أب مؤسس مدينة القيروان.- **درب الحذائين:** ينسب إلى صانعي الأحذية.

و ذكر المالكي: درب ابن دينار، درب الأقرع بن بكار، درب عابد بن سوادة، درب المهدي، درب السنجاري، درب البهلول. وذكر صاحب المعالم: درب أزهر، درب أم أيوب، درب الهذلي، درب السكة. وذكر الرقيق: درب ابن طفيل في سوق اليهود جنوب سماط القيروان.

- **الحمامات:** لقد ذكر البكري أن في القيروان ثمانية و أربعين حماما، و هذا الرقم ليس مبالغا فيه فقد كان في صبرة أيام عماراتها ثلاثمائة حمام أكثرها للديار، و باقيها مبرز للناس كافة، ...و منها: - **حمام النعمان.- حمام أبي اسحاق.- حمام أبي الربيع.- حمام الجزارين**...ويبدو أن عدد الحمامات كان أكثر بكثير وخاصة في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة والقرن الثالث أي في عصر ازدهار مدينة القيروان و بعد استقرار الأمن و سيطرة المهالبة ثم الأغالبة على الثورات الخارجية.
- **الفنادق:** و تسمى أيضا الخانات، و هي مخازن و أماكن للبيع و الشراء و الإقامة المؤقتة، وقد انتشرت الفنادق مع ازدهار التجارة و توسع الدولة الاسلامية فهناك علاقة عضوية بين تطور التجارة ونشر الاسلام. و قد أوردت المصادر ذكر بعض الفنادق في القيروان:

- فندق سكنه عبد الخالق المتعبد القتاب، و هو قرب الجامع.- فندق يسكنه رجال من أهل الساحل: و تدل الإشارة على كثرة الفنادق، قال سحنون لأحد أصحابه: "اذهب إلى فندق كذا و كذا...".- فنادق محمد بن خيرون.- فنادق بباب سلم.

دار الضرب: توجد بسوق الضرب، و يقع جوار باب الطراز و بها تصنع النقود و تعدل الأوزان، ويذهب صاحب الورقات إلى أن دار السكة بالقيروان وجدت في القيروان منذ عهد موسى بن نصير وذلك لوجود نماذج من دنانير الذهب و فلوس النحاس التي ضربها في أواخر القرن الأول للهجرة، ولا شك أن دار الضرب هذه كانت في الدواوين التي أحدثها حسان الذي أمر بنقل الدواوين إلى القيروان خوف الهجوم عليها من البحر و قد احتفظ العرب بدار الضرب، للمسكوكات لما رأوا من

المصلحة في استخدامها والانتفاع بها و ليس من شك أن حسانا استخدم مواهب كثير من أعوان البيزنطيين المحليين و موظفيهم في مصالح الادارة الجديدة و جيشها الفاتح.

- **السجون:** قد أورد ابن عبد الحكم أن يزيد بن أبي مسلم بنى لمحمد بن يزيد القرشي في السجن بيتا ضيقا، وهو السجن الذي سجن فيه الياس بن حبيب سلام بن عبد الرحمن بن حبيب، كما سجن فيه ابن الجارود العديد من القواد. وفي القرن الثالث للهجرة أصبح للقيروان أكثر من سجن واحد، سجن للأمير ويبدو أنه كان في العباسية أو في رقادة، وسجن للوزير ويوجد أيضا في المدينتين الأميرتين وسجن لقاضي القيروان. والأكيد أن هناك مؤسسات مدنية أخرى وجدت في القيروان منها:
- **الأهراء:** و مفردها الهري، و هو بيت كبير ضخم يجمع فيه طعام السلطان.
- **الاصطبلات:** الاصطبل موقف الدواب، ويبدو أن هناك اصطبلا للدواب قرب دار الإمارة.
- **دار الطراز:** تصنع فيها الملابس الرسمية لرجال الدولة و توضع فيها الألوية، وشارات الإمارة.
- **الرحاب:** كانت كل خطة من الخطط تحتوي على ساحة أو ميدان أو رحبة يجتمع فيها سكان الخطة من أفراد القبيلة أو البطن تحت إشراف العرفاء عند التحضير للغزوات أو للدفاع عن مدينتهم التي تعرضت إلى هجومات الخوارج والقبائل البربرية، و في القيروان أوجد الذين اختطوها رحبة في المدار المركزي و رحاب أخرى في خطط القبائل و البطون، و تذكر المصادر رحبا كثيرة منها:

- **رحبة التمر:** و فيها كانت توجد دار الإمارة في قبلة الجامع الأعظم.- **رحبة بني دراج:** يصلها الداخل من باب تونس.- **رحبة القرشيين:** في خطة قريش قرب باب تونس.- **رحبة الأنصار:** في خطة الأنصار من جهة باب سلم.- **رحبة ابن أبي داود:** قرب باب الريح جنوب غرب القيروان.

- **الأرباض:** فالقيروان أكبر من دمشق و أعظم مدينة بالمغرب لا بد أنها كانت تضم أرباضا كثيرة، و قد ذكرت المصادر الأرباض التالية:

- **حارة يحصب.- حارة السدرة.- الزيادية.- الريحانة.- حارة المرضى:** و ذكرت أيضا باسم "الدمنة" أو "دار الجذماء" أو "محلة المرضى"، ويذهب صاحب الورقات إلى أن "الدمنة" اسم الموضع وربما عرف كامل الحي باسم حارة المرضى،

.

- **ربض الروحاء:** قال عنه ياقوت (يكتبه روحة): "من قرى القيروان".

- **ربض البقربة:** كان معدا للملاهي والخلاعة.- **حارة القرشيين.- حارة اليهود.- حارة أبي محرز.- ربض الريدان.- ربض السوريين.- ربض الأنصار:** و يسمى الربض الآن "حومة الشرفاء"

● **الأسواق:** على غرار بقية المدن الاسلامية كانت أسواق القيروان بالقرب من المسجد الذي كان يتوسطها وهو ما أكده المقدسي:" الجامع بموضع السماط الكبير وسط الأسواق في سرة البلد" ، وقد ذكرت المصادر أسواقا كثيرة منها:

- الأسواق الموجودة قرب السماط:

أ- أسواق النسيج:-سوق البزازين.-سوق الرهادنة: أو الرهادرة أي باعة الأقمشة من الكتان والقطن.-**حوانيت الكتانين والرفائين.**

ب- أسواق الطعام:

-سوق الطعام: (الحبوب).-**زقاق الفرانين.-سوق الدجاج.**

ج- بقية الأسواق:

سوق العطارين.-سوق السراجين. -سوق الصيارفة.-سوق الرماحين.-سوق الخرازين.-سوق الحدادين.-حوانيت الوراقين. -القيسارية: بناية مربعة في شكل أروقة تضم غرف ومخازن ودكاكين للتجارة والقيسارية توجد بسوق الضرب، وقريبة من سوق الصيارفة أو هي امتداد لها.

- الأسواق الموجودة قرب الأبواب:

-سوق الابل.-سوق الغنم.-سوق الدباغين: يكون عادة خارج سور المدينة لأن دباغة الجلود تتسبب في التلوث و تضر بالناس، و قد ذكر الدباغ "غدير الجلادين"، و "باب الجلادين" و"دار لدبغ الجلود" -**سوق اسماعيل:** نسبة إلى اسماعيل بن عبيد الأنصاري يعرف "بتاجر الله" وهو أحد العشرة التابعين الذين أرسلهم عمر بن عبد العزيز سنة 100هـ/ 718م بنى "المسجد الكبير" بالقيروان الذي يعرف الآن "بمسجد الزيتونة" كان يوجه المولدات والأحمال إلى المشرق وهو سوق

للعبيد ويقع بالقرب من باب سلم.-**سوق أبي المغيرة**: نسبت إلى عبد الله بن المغيرة الكوفي.-**سوق بني هشام**: نسبة إلى هشام بن حاجب.

إضافة إلى وجود أسواق أخرى مثل: أسواق أو دكاكين لم تذكر المصادر أماكنها فقط مثل محلات صانعي النبيذ، وحوانيت أخرى للحجامين وباعة الحناء والخضاب وحوانيت تستعمل ككتاب للأطفال، وليس مستبعدا وجود أسواق أخرى لصناعات و حرف و تجارات وغيرها ...

- **القصور**: لقد أنشأ عقبة مع المسجد الجامع دار الإمارة، و هي أول قصر أنشأه العرب في افريقية محافظين بذلك على تقليدهم الذي بدأ عند تأسيس الكوفة و البصرة و الفسطاط، و المؤكد أن هذا القصر لم يكن القصر الوحيد في القيروان في عهد حسان الذي دون الدواوين، ومنها: ديوان الجند وديوان الخراج و ديوان الرسائل والتي أضاف إليها موسى بن نصير دار الضرب لسك النقود، وقد ضمت القيروان القصور والدور الضخمة مثل دار عبد الله بن يزيد المعافري الحبلي من فضلاء التابعين بناحية باب تونس بقرب درب أزهر، و دار حنش بن عبد الله الصنعاني، من فضلاء التابعين بناحية باب الريح، و دار علي بن رباح اللخمي، من فضلاء التابعين عند باب نافع، ودار جندب بن بشر أبو غطيف الهذلي، من فضلاء التابعين، و دار زياد بن أنعم، من فضلاء التابعين في ناحية باب نافع، ودار المغيرة لصاحبها المغيرة بن أبي بردة القرشي و ابنه عبد الله قاضي عمر بن عبد العزيز بالقيروان ولهم ربع لم يزل بأيديهم إلى أن خربت القيروان، وغير هؤلاء من فضلاء القيروان كثير.

كما ضمت القيروان دور وقصور السادة وأصحاب النفوذ والقادة مثل أبي الخطار بن ضرار الكلبي الذي كان قائدا جليلا و رئيسا شريفا في قومه وولي ولايات كثيرة في إمارة بشر بن صفوان، ومن القصور التي ذكرتها المصادر **قصر منصور بن عبد الله بن يزيد الحميري** بطريق سوسة، وكذلك **قصر بشير** في نفس الموضع، و كذلك دار المنصور الحميري بالموضع الذي به دور بني نافذ بالقيروان، وكذلك قصر حفص صاحب الخراج مولى بني منصور، و ذكر الرقيق أيضا قصرا لروح بن حاتم فيه علية. ولما تكونت الدولة الأغلبية ابتنى الأمراء و رجال الدولة و أرباب الرتب العليا القصور

والسرايات المناسبة لمقامهم و ثروتهم، ولعل دار القاضي أو دار القضاء تعود أيضا إلى الفترة الأغلبية وهي ملاصقة لجامع عقبة من الناحية القبلية.

ومن القصور التي أنشأها الأمراء الأغالبة قصر حمص و قصر أبي الفتح، و ان زيادة الله قد بنى على غربي الماجل (**فسقية الأغالبة بباب تونس**) قصرا سماه صاحب البساط **قصر الماء،** وسرايا للقضاة مثل دار ابن غانم و دار أبي محرز، و دار بني فروخ و دار يزيد بن الطفيل، و دار ابن طالب والتجار الأثرياء مثل محمد بن خيرون الأندلسي صاحب المسجد الشريف و الفنادق المجاورة للسجن، وكذلك الوزراء مثل عبد الله بن علي بن حميد الوزير أو نصر بن حمزة الذين لا شك أنهم كانوا يمتلكون أكثر من قصر في القيروان و العباسية و في غيرها من الأرباض، و لا شك أن القيروان ضمت قصورا وسرايا لتجار وولاة وأعيان.

- **الأبواب:** ذكر البكري عند تعداده لأبواب القيروان عبارة "الأربعة"، وهي عبارة تعيد لأذهاننا "مربع السماط"، فتطرح علينا من جديد مسألة الفضاء المركزي والساحة العامة وسط المدينة والشارعين الرئيسيين المتعامدين: كاردو- ماكسيموس، و ديكيمانوس- ماكسيموس، ونستخرج من هذا أن الأبواب الأصلية كانت أربعة، وهي عند التأسيس منافذ للخطط، وهذه المنافذ هي:

- **شرقا:** باب نافع، نسبة لأب مؤسس المدينة عقبة بن نافع الفهري و يقع شرق شريح سحنون الآن.- **غربا:** باب سلم، أو باب أسلم، و أسلم إحدى القبائل اليمنية التي شاركت في فتح افريقية واختطت في القيروان، و هو يفتح على مقبرة قريش خارج الباب الجديد الحالي.- **شمالا:** باب تونس، يفتح على ماجل أبي ابراهيم أحمد.- **جنوبا:** باب أبي الربيع، وقد ربط أحد المصادر بين هذه التسمية وأسطورة الحيوانات التي أطاعت عقبة عند التأسيس وبين اسم هذا الباب القريب من الواد المالح، وهو بين القبلة و المشرق.

ويذكر البكري من الأبواب القديمة إضافة إلى الأبواب الأربعة **باب بين القبلة والمغرب،** ولم يذكر اسمه، و يذكر في الشرق إضافة إلى باب نافع **باب عبد الله** و يبدو أن هذا المنفذ وجد منذ بناء سور القيروان من طرف ابن الأشعث وسمي باسم عبد الله بن الزبير.

وقد يكون **باب أصرم** وضع في فترة بناء السور وهو طريق الجادة الكبرى التي تربط مع المشرق مرورا بطرابلس وبرقة ومصر وتربط أيضا مع قابس وصفاقس. وبنيت مع السور أو في فترات لاحقة الأبواب الآتية:- **باب النخيل**.- **باب الريح**.- **باب الطراز**.- **باب سحنون**.- **باب القلالين**...

● **المقابر**: ليس غريبا أن يفكر مختطو القيروان في مقابر لموتاهم، ألم يكن عقبة رجلا صالحا؟ فقد دعاه أولاده فقال لهم: "إني قد بعت نفسي من الله لأن أملي الموت في سبيل الله"، ثم أن المقابر قد تكون سبقت اختطاط المدينة. فقد ذكر أبو العرب أن أبا زمعة البلوي دفن بمقبرة باب تونس بالبلوية، ثم أن عبد الله بن عمر بن الخطاب كانت معه أم ولد له، فولدت له صبية ماتت فدفنها في مقبرة قريش بباب سلم، ويضيف أبو العرب فاتخذها قريش مقبرة يدفنون فيها، لمكان تلك الصبية، و من أشهر المقابر:

- **مقبرة باب سلم**: في الغرب، سماها أبو العرب "المقبرة العظمى" وتسمى أيضا "مقبرة قريش" وتسمى الآن "الجناح الأخضر".- **مقبرة باب نافع**.- **مقبرة باب تونس**: ليست بعيدة عن مصلى الجنائز، قرب آبار حديج عند باب تونس (القديم)،- **المقبرة البلوية**: في الناحية الشمالية الغربية نسبة إلى أبي زمعة البلوي،- **مقبرة باب أبي الربيع** ...

● **المنشآت المائية**: إنّه ليس معقولا أن يمصر عقبة هذا القائد العظيم أول مدينة إسلامية في إفريقية دون أن يأخذ بعين الاعتبار مشكلة تزويدها بالماء، ألم يكن موضع القيروان واديا كثير الشجر كثير القطف، ثم ألم يتعرض عقبة إلى مشاكل العطش في الصحراء قبل تأسيسه القيروان إذ أقام بمكان اسمه ماء فرس ولم يكن به ماء فأصابهم عطش شديد أشفى منه عقبة وأصحابه على الموت، ثم ألم يتوقف كل قادة الفتح في موضع القيروان، عبد الله بن سعد بن أبي سرح سنة 27هـ/ 647م و معاوية بن حديج سنة 45هـ/ 665م الذي حفر آبارا عند باب تونس في ناحية الجبل منه تسمى للآن "آبار حديج" غلب عليها اسم أبيه حديج، وذلك قبل تأسيس القيروان.

ومن المؤكد أن عقبة اختار موضع القيروان وقد قربها من الوادي لتوفر الماء في واد يسمى وادي السراويل في قبلة المدينة. ولا يمكن تصور بناء مدينة دون وجود ماء، **فبئر أم عياض** موجودة قبل بناء

جامع عقبة، و قد يكون حفرها الجيش الفاتح، الذي حفر آبارا كثيرة لاستعمالاته المختلفة وأساسا لبناء القيروان (الدور و المساجد وغيرها...)، ومن آبار الخطط يمكن ذكر "بئر الجنان"، وقد وجد الفاتحون منشآت مائية قديمة منها "قصر الماء"، وكانت المعارك تقع بالقرب من الأنهار أو المنشآت المائية، لقد واصل موسى بن نصير بعد حسان تنظيم البلاد وخاصة بعد انتهاء فتح المغرب، فقد ركب يوما حتى خرج من القيروان، فوقف قريبا من افريقية على رأس أمسال، فأخذ بيده ترابا فشمه من ثم أمر بحفر بئر و ابتنى دارا و منية واتخذ فيها خيلا فسميت بئر منية الخيل، فليس يعلم بالمغرب بئر أعذب منها، و هذا يدل على اهتمامه بالزراعة و باستقرار الناس.

أما الانجازات المائية الكبرى فكانت من عمل الأغالبة، يقول ابن عذارى: "و في سنة 245هـ/ 859م، أخرج أبو ابراهيم بن الأغلب صاحب افريقية مالا كثيرا لحفر المواجل، و بنيان المساجد والقناطر..."، "...فأمر ببناء ماجل باب تونس، و بنى ماجل باب أبي الربيع"، و م يقتصر بناء المواجل على الولاة والأمراء فقط بل قام بهذا العمل الخيري أيضا بعض الخاصة مثل محمد بن خيرون الأندلسي الذي بنى الجامع الشريف بالقيروان و بنى فيه جبابا للماء، ومن المواجل نذكر:

- **ماجل مهرية:.- ماجل باب أبي الربيع.- ماجل سيدي يعقوب الدهماني.– فسقية الأغالبة**...ومن المعروف أن الأغالبة أسسوا منشآت كثيرة لخدمة الصالح العام وذلك بإصلاح شبكة الطرقات الرومانية وفتح طرقات جديدة وإصلاح القناطر القديمة وإنشاء الجديدة ووضعوا السدود على المجاري والجداول لتحد من قوة اندفاع الماء الذي سخر لري المزروعات، و قد أظهرت الدراسات عدة منشآت مائية تعود إلى فترتهم في كور القيروان و قمودة والساحل وغيرها....

3– العمارة الحربية:

من المؤكد أن القيروان (المعسكر الذي تحول إلى مدينة) كانت تضم أماكن السلاح وهي عادة تابعة لقصر الإمارة، وقد سمتها المصادر "الخزائن"، أو "بيت السلاح"، و أورد البكري أن للقيروان من القديم سبعة محارس، أربعة خارجها و ثلاثة داخلها، فهل بنيت هذه المحارس قبل تأسيس محمد بن

الأشعث لسور القيروان سنة 144هـ/ 761م أم بعد ذلك؟ و المحارس نوع من الثكنات و حصون الحراسة و هي ضرورية لمدينة هامة في منبسط من الأرض في فترة عرفت بالاضطراب الأمني والثورات.

● **الأسوار**: كان بناة القيروان محاربين مالكين لأسلحتهم، فكان سورهم سيوفهم لكن عندما تعرضت القيروان إلى أكبر محنة إذ تغلبت عليها بعض القبائل الصفرية بعد قتل حبيب و عاصم، فدخلوا القيروان و ربطوا دوابهم في المسجد الجامع، و قتلوا كل من كان من قريش وعذبوا أهلها، وأساءت ورفجومة لأهل القيروان سوء العذاب سنة 140هـ/ 757م لذلك بادر محمد بن الأشعث الخزاعي، وهو أول قائد للمسودة، بتحصينها ليقيها تجدد مثل هذه الكارثة، فأمر ببناء سور القيروان

الأبراج أو المحارس: وهي نوع من الثكنات أو حصون الحراسة، وبنيت في عهد محمد بن الأشعث في نفس الفترة التي تم فيها بناء سور القيروان، و قد تكون بنيت جميعها أو بعضها في عهد يزيد بن حاتم أو في عهد أبي ابراهيم أحمد بن أبي العباس محمد الذي كان مولعا بالعمارة فبنى بافريقية نحوا من عشرة آلاف حصن بالحجارة والكلس وأبواب الحديد أو في عهد محمد بن أحمد بن محمد بن الأغلب الذي بنى أيضا حصونا ومحارس ومنها: "**محرس الأنصار**" الذي بني على "مسجد الأنصار"، ومن المؤكد وجود علاقة بين المحارس السبعة والمساجد السبعة والخطط السبع.

● **الخندق**: من بين التحصينات التي اعتمدت في القيروان، حيث أمر الخليفة العباسي المنصور واليه الأغلب بن سالم التميمي بتحصين مدينة القيروان وخندقها و ترتيب حرسها.

● **الثكنات**: أو ما يمكن أن يسمى "مقرات القيادة العسكرية" التي أصبحت مع مجيء الأغالبة منتقاة بصفة دقيقة إذ لا تشمل إلا قادة من العائلة الحاكمة أو قادة عرب عرفوا بالولاء التام أو من الموالي أو العبيد (السود أو الصقالبة) الذين لا تنفذ إليهم الدسائس، و قد بدأت هذه المقرات مع أول قصر ابتناه ابراهيم بن الأغلب في العباسية إذ أسكن معه من يثق به من الجند و الذي تسميه المصادر "**القصر الأبيض**" أو قصور قد بني عليها عدة حيطان، و توجد داخل المدينة رحبة كبيرة واسعة تعرف "**بالميدان**"، و بها يقع عرض الجيش و الفرسان في أيام العرض و العطاء، ثم انتقلت القيادة العليا للجيش مع ابراهيم بن أحمد إلى رقادة سنة 264هـ/ 878م، يقول الاصطخري (ت في

النصف الأول من القرن 4هـ/ 10م) و خارج القيروان أبنية كانت **معسكر آل الأغلب** و مقامهم بها كان، وتسمى "**الرقادة**"، و قد وجدت في رقادة الثكنات الضخمة القادرة على استيعاب آلاف الجنود والعبيد السود الذين جمع منهم ابراهيم بن أحمد خمسة آلاف أسود، كما وجدت في رقادة "**قبة العرض**" التي تشرف على ميدان استقبل سنة 293هـ/ 906م عساكر عظيمة، كما وجد بقرب رقادة "**الملعب**" الذي يستعمل للعرض فقد أنزل فيه زيادة الله سنة 294هـ/ 907م رسول صاحب القسطنطينية و جمع الناس للمباهاة بهم، فكان جمعا عظيما.

و يبدو أن القيروان كانت محاطة بجملة من المحارس اتعزيز الحدود في فترات الغزو، فقد ذكر النعمان أن زيادة الله كتب من كل محرس من محارسه عدة معلومة من شبابهم، فما هي هذه المحارس؟

ليس بإمكاننا الإجابة عن هذا السؤال الآن لكن دراستنا للمصادر جعلتنا نكشف مواقع تبدو وكأنها قامت بدور خطوط دفاع عن العاصمة الاسلامية الأولى في المغرب العربي، فقد أوردت المصادر أثناء الهجومات البربرية أو أثناء الزحف الشيعي أو في غيرها من الهجومات مواقع قريبة من القيروان دارت فيها معارك هامة و مثلت ما يشبه خط دفاع أخير عن المدينة تسبقه خطوط أخرى فقد مثلت مواقع الأصنام والقنطاط و قصر الماء، و خط الدفاع الأقرب إلى المدينة و مثلت مواقع القرن و طنبياس خط دفاع ثان، وقد تكون جلولا و ممس بمثابة خط الدفاع المتقدم، و قد تكون هناك مواقع أخرى تكمل خطوط الدفاع المذكورة أو تقوم بدور الرصد و التنبيه من الهجومات المختلفة، و قام الوادي و السبخة بما يشبه الحماية الطبيعية من الناحية الشرقية و الشمالية الشرقية.

و مما سبق نستنتج النقاط التالية:

– تعتبر القيروان أول مصر أحدثه العرب المسلمون بافريقية، و نشأت في البداية معسكرا و قاعدة للانتشار.

– توسعت المدينة تدريجيا و تعددت وظائفها مثلما تنوع تعميرها و كثر عمرانها، و هي عاصمة لولاية افريقية ثم للإمارة الأغلبية.

– حضيت القيروان بعناية خاصة باعتبارها مركز السلطة، فاكتملت عناصرها العمرانية من مسجد وسور وأسواق و خزانات مياه حتى العهد الأغلبي.

– نال جامع عقبة أهمية كبيرة باعتباره رمز المدينة و مركز إشعاع الدين الجديد و تعددت به الأشغال نتيجة توسع المدينة و ارتفاع عدد سكانها، فأضحى الجامع نموذجا لنمط عمراني قيرواني مميز: شكل مستطيل، أروقة من ثلاث جهات، صومعة ذات قواعد أربعة و طوابق ثلاث تبدو كبرج مراقبة، قبتان قبة المحراب و قبة البهو، سقف خشبي متعدد الزخارف، محراب مكون من طاقة مجوفة تعلوها نصف قبة.

– المواد المستعملة في بناء الجامع من مواقع قديمة مع حجارة مصقولة (دبش) و آجر مجفف (لبن)، عمارة قوية و صلبة ذات مسحة عسكرية.

– زخارف هندسية و نباتية (ورق العنب، زهرات، سعف النخيل) في أشكال متناسقة و متناظرة، إضافة إلى الكتابة من خلال التفنن في رسم كلمة الله أو آيات قرآنية.

– يعد المسجد الجامع بالقيروان نموذجا معماريا شمل تأثيره افريقية و بلاد المغرب و كذلك صقلية حتى العهد النورماني و أنحاء من المشرق مثل جامع الأزهر، كما ظل الجامع مدرسة كبرى و منارة علمية.

– ضم النمط المعماري القيرواني أيضا مجموعة من التحصينات و العناصر الدفاعية.

– اتجه الأغالبة إلى ترميم الحصون و القلاع القديمة و بنوا أخرى جديدة انتظمت خاصة على السواحل للإنذار في حالة الخطر و أخذت شكل رباطات مثل رباط سوسة.

ثانيا– في المغرب الأوسط:

❖ نموذج؛ حاضرة تيهرت:

أولا– أصل التسمية و معانيها

لقد عرفت مدينة تيهرت تسميات عديدة تناقلتها المصادر التاريخية و المراجع من أهمها اسم تيهرت و هو السائد في معظم المصادر، و نجد أيضا اسم المعصومة و القصبة، و أطلق عليها أيضا

اسم أم العسكرو العسكر المبارك، و قلعة عبد الرحمن أما في فترة عبد الوهاب بن عبد الرحمن فسميت بالعسكرية، و يقول الشماخي: "و كانت تيهرت مدينة عظيمة بناها عبد الرحمن بن رستم في موضع مربع، لذا سميت تاقدمت و تفسيرها الدف" نشير إلى أن اسم تيهرت الذي عرفت به المدينة اختلف الباحثون في أصله و معناه الحقيقي، و تضارب العلماء في مصدره و إلى أية لغة يمكن ارجاعه، فذهب الباحثان إليس راكلس و ماك كرتي أن تيهرت كلمة بربرية و تعني بالنسبة له "محطة" و قد يكون لهذا التعريف صلة بوجود محطة قطار تعود للفترة الاستعمارية أو لكونها مثلت محطة وملتقى القوافل التجارية القادمة من مختلف الاتجاهات من تونس شرقا و من فاس و تلمسان و غيرها غربا و الصحراء جنوبا، ولا شك أن تيهرت لعبت هذين الدورين منذ العهد الروماني فالرستمي حتى يومنا هذا، و هما يشيران بوضوح إلى دور تيهرت التجاري بين الشمال و الجنوب و الشرق والغرب، بينما الأب دوفوكو، فيرى أن كلمة تيهرت جذرها بربري وهو "إهر" EHER و يعني "سد الفتحة"، و "تاهورت" TAHORT و هي القطعة التي تسد بها هذه الفتحة، في حين يلاحظ بلكران أن كثيرا من أسماء مدن الجزائر هي مؤنث لأسماء حيوانات فاسم الأسد يوجد في البربرية في حالتين جذرهما (آر) ar و بجمع (إرن) Iren - (إرد) Aired وبجمع (إردن) Airaden تأنيثه (ترت) أو تيهرت أو تاهارات Tahert و التي تعني اللبؤة، قد يكون لهذا التفسير علاقة مع الأسطورة التي تذكر أن عند تحضير الأرض للبناء "نادى مناد بسباعها ووحوشها وهوامها أن أخرجوا فإنا أردنا عمارة هذه الأرض فأجلوها ثلاثة أيام، و بلغنا أنهم رأوا وحوشها تحمل أولادها خارجة بها منها و قيل رأوا لبؤة حاملة أولادها خارجة منها فقد يكون لهذه الأسطورة أثرها في تفسير بلكران خاصة إذا علمنا أنه التفسير المتداول بين الناس حاليا في المنطقة و غيرها لذا رجحنا هذا التفسير عن غيره.

و تسمية أخرى لا تقل أهمية عن سابقتها يسوقها البكري مع تفسير لمعناها فيقول: "و نزل عبد الرحمن موضعا مربعا لا شعراء فيه، فقال البربر نزل تاقدامت تفسيره الدف، شبهوه بالدف لتربيعه"، و تؤكد هذا التفسير المعاجم البربرية و القبائلية مثل المعجم الفرنسي- البربري و المعجم الفرنسي- القبائلي.

و هناك تفسير ثان لكلمة تاقدامت يتزعمه الحسن الوزان حيث يقول بأن اسم تاقدامت يعني "قديم" أطلق عليها لوجود آثار قديمة بها، و يؤيده في هذا التفسير جورج مارسي و دوسوس لامار في قولهما بأن "تاقدامت" هي تأنيث بالبربرية للكلمة العربية "قديم" و التي تعني عتيق باعتبار أن الموقع يحتوي على آثار رومانية قديمة.

لكن مهما يكن من أمر فإن المدينة عرفت شهرتها بعمارتها و ازدهارها لا بما تحمله من معان لأسمائها، فابن خلدون مثلا ذكرها بتاهرت دون أن يعلق على هذه الصيغة و كذلك الأمير عبد القادر ما عدا مرتين باسم تيارت، أما ابراهيم بحاز و هو من المحدثين فيرى أن الصيغة الصحيحة هي تيهرت و أنها حرفت بمرور الزمن.

2- أهمية موقع تيهرت وأسباب اختياره:

لقد طرح العديد من المؤرخين عدة أسئلة لم تجد لديهم الرد اللازم عليها والمتعلقة أساسا بأسباب اختيار عبد الرحمن بن رستم لتيهرت دون غيرها من المدن، و يمكننا أن نتساءل لماذا أهمل عبد الرحمن بن رستم المدينة العتيقة الواقعة قريبا من تيارت الحالية و التي كانت محصنة بقلعة وبجدارين ضخمين، وكانت تتمتع بموقع حصين ممتاز ليستقر على مسافة ثمانية كيلومترات غربي المدينة القديمة؟ فهل اختار الأمير الرستمي الأول موقعا بكرا جديدا لم يسبق إليه ليؤسس فيه عاصمة، آملا في تخليد ذكراه كما صنع عقبة بن نافع مؤسس مدينة القيروان، وإدريس الأول المختط لمدينة فاس، إضافة إلى ذلك أن المدينة القديمة عتيقة ليست على الهندسة الإسلامية البارعة و أن إصلاح العتيق يكون أكثر تعبا و إرهاقا من إنشاء الحديث، أم كما ظن جورج مارسيه أن هذا الاختيار سببه انشغال البال بهدف عملي هو أشبه باهتمام المهندسين المعماريين البناة للمدن الحديثة، و هو بشكل خاص أقرب إلى رغبة المسلمين المعنيين بتشييد المدن، و هي رغبة التقرب إلى الماء و تزويد سكان الحواضر، حيث كانت تيهرت غنية بالماء، و هذا ما أكدته جل المصادر التاريخية، فمثلا البكري يذكر ذلك في الفقرة التالية: "وهي على نهر يأتيها من جهة القبلة يسمى **مينة** و هو في قبليها، و نهر آخر

يجري من عيون تجتمع يسمى **تاتش** ومنه شرب أهلها وأرضها وهو في شرقيها"، ويقول اليعقوبي:"تاهرت مدينة كبيرة آهلة بين جبال وأودية...و شرب أهلها من أنهار و عيون".

أما صاحب الاستبصار فيقول: "وهي على نهر يأتيها من الغرب يسمى منة و لها نهر آخر يجري من عيون تجتمع يسمى تانس"، و يقول الإدريسي: "و بمدينة تاهرت الحديثة مياه متدفقة، وعيون جارية تدخل أكثر ديارهم و يتصرفون فيها، و لهم على هذه المياه بساتين و أشجار".

لقد ساهمت جملة من العوامل الجيولوجية و المناخية و الاجتماعية و الاقتصادية و حتى السياسية والمذهبية في اختيار موضع تيهرت دون غيره نجملها فيما يلي:

*يأتي في مقدمة تلك العوامل أن المنطقة عرفت نموا و استقرارا للسكان منذ العصور القديمة، ضف إلى ذلك أنها منطقة **داخلية منطوية** على نفسها، فرغم أن تيهرت تقع على رأس الطريق الذي يصل منطقة التلول بأسافل وادي الشلف المؤدي إلى البحر، و رغم أنها مغلقة في أعلى منطقة جبلية "تلول منداس" فإنها تقع على السفح الجنوبي للجبل "**جبل جزول**" بمعنى أنها توجه أنظارها نحو الداخل و **تدير ظهرها إلى البحر** و هذا يمثل موقعا استراتيجيا ممتازا بالنسبة لجماعة يحيط بها الأعداء من كل جانب و ترجو أن تعيش في أمان، كما أن موقعها ما بين جبال الأطلس جعلها تهيمن على بلاد المغرب من جهاتها الأربع، فهي بعيدة عن القيروان تفصل بينهما منطقة الزاب وجبال الأوراس، و هي بمأمن من ضربات الأسطول البيزنطي لبعدها عن الساحل.

*و من خصائص هذا المكان أنه يمتاز **بلطف و نقاوة الهواء**، و خصوبة الأراضي، كما انه **قابل للعمارة**، مؤمن عن العدو وهي شروط المدينة التي ستكون حصنا للإسلام، كما أنه يتوسط التل والصحراء، ففيه من التل خصبة و لطافة جوه، و فيه من الصحراء **جوها الصحي** ومناخها النقي، والصحراء هي طريقها إلى السودان تلك الأقطار الواسعة التي ستنشر فيها الإسلام و تنقل إليها الحضارة و تتاجر مع أهلها، إن هذا المكان يتوسط الشمال والجنوب، مما يورث لتيهرت وللدولة كلها خصائص الشمال الجميلة و ميزات الصحراء العظيمة.

*لجوء عبد الرحمن بن رستم إلى قبيلة **لماية**، كان بدافع **مذهبي** إذ تعد لماية من أهم القبائل الإباضية في المغرب الأوسط آنذاك، كما كان يرغب عبد الرحمن بن رستم من خلال اختياره لهذا الموقع في **السيطرة و التحكم** في القبائل الصحراوية البدوية، خاصة و أن تيهرت تقع في قلب منطقة تسكنها قبائل إباضية متعددة .

*وقوع تيهرت على **طريق القوافل** التجارية المارة من و إلى المشرق والسودان، لعب دورا في اختيارها، فهي تتوسط قبائل الناحية مما جعل منها سوقا تقصدها القبائل و تصلها القوافل التجارية التي تربط الواحات الصحراوية بموانئ الساحل.

*تمتاز المنطقة بتربتها الحمراء بأسفل الجبل و بالحجارة الكلسية البيضاء و الرملية، مما يساعد على **تمركز المياه** الباطنية، كما يوفر أراض خصبة و غنية تساعد على الزراعة و الرعي لتوفر المياه، ويتسم مناخ تيهرت ببرودة و ضباب كثيف في الشتاء و جو معتدل في الصيف، حيث يصف اليعقوبي مناخها بقوله: "أنها تمتاز بالبرد الشديد وفيها رياح قوية، والشمس توقد وتحرق"، ومن خلال الأبيات الشعرية لبكر بن حماد الشاعر التيهرتي (ت.296هـ) نستنتج برودة الطقس و قلة ظهور الشمس حيث قال:

ما أخشن البرد و ريعانه و أطرف الشمس بتاهرت
تبدو من الغيم إذا ما بدت كأنها تنتشر من تحت
فنحن في بحر بلا لجى تجري بنا الريح على السمت
نفرح بالشمس إذا بدت كفرحة الذمي بالسبت

و مما يؤكد أن المناخ كان ممطرا و مثلجا أعطى للمنطقة ميزة خاصة، حتى نرى رجلا من تيهرت، لما كان بالحجاز قال مخاطبا للشمس: "أحرقي ما شئت فو الله إنك بتاهرت لذليلة"، و يقول القزويني:"...كثرة الأمطار و الأنداء و الضباب و شدة البرد قلما ترى الشمس بها".

أما عن عدم تمسك الإمام الرستمي بالمدينة القديمة التي كانت عامرة قبل بناء المدينة الحديثة، فيرجع بالدرجة الأولى إلى مقاومة سكانها له وهو ما يتأكد من قول البكري الذي أشار بأنه توجه إلى

تيهرت القديمة أو العليا، فكان كلما بنى شيئا في الليل وجده قد انهار في الصباح، فعزف عن ذلك الموضع و انتقل إلى تيهرت الحديثة، ومن خلال هذا النص يتبين أن سكان المدينة عارضوا البناء وأن عبد الرحمن بن رستم فضل عدم المواجهة للحفاظ على الأنصار في بداية تأسيس دولته، واتفق معهم على أخذ خراج السوق، حيث يذكر محمد دبوز: "أن أهل المدينة القديمة قد علموا أن مدينتهم ستصبح عاصمة الدولة، وبذلك تفتح أبوابها لكل الطوائف، فرفضوا هذا الوضع و أن عبد الرحمن لم يرغم هؤلاء على بيعهم أرضهم.

وهكذا كانت هذه العوامل دافعا وحافزا لعبد الرحمن بن رستم و أصحابه في اختيار تيهرت عاصمة لدولتهم المنتظرة، والتي أصبحت حرزا وحصنا لجماعة المسلمين وسميت بأم العسكر والعسكر المبارك.

3- البنية العمرانية وضوابط التخطيط والتحصين:

إن التحليل المورفولوجي للمخطط العمراني لمدينة ما، يتطلب الاختصاص الدقيق في ميدان العمران و الآثار، و يعتمد أيضا على نتائج التنقيبات و الحفريات التي يقوم بها الأثريون والمهندسون، ولندرة المعطيات في هذا المجال، سنحاول دراسة المخطط العمراني لتيهرت و بنيتها الداخلية بالاعتماد على نتائج بعض الدراسات والحفريات و إن كانت نتائجها ما زالت قليلة و محدودة، وكذا اللجوء إلى النصوص التاريخية والتي هي الأخرى لا تعطينا النتائج الدقيقة خاصة فيما يتعلق بتحديد أماكن الأحياء و الدروب والأزقة و القصور بسبب اندثار وزوال معالمها العمرانية، ويمكن تقسيم الآثار العمرانية من منشآت و مرافق عمومية إلى عمارة دينية و مدنية و حربية.

1- العمارة الدينية:

إن جورج مارسيه في بحثه الوجيز في الفن الإسلامي ربط تطور العمارة الإسلامية بالتطور السياسي و الحضاري، حيث اعتبرها مظهرا من مظاهر هذا التطور الذي شهده العالم الإسلامي.

و تتميز المدينة الإسلامية عموما، سواء في بلاد المشرق أو في بلاد المغرب بسمات مشتركة بغض النظر، عن المميزات التي تفرضها البيئة الطبيعية، والتقاليد المحلية، لأن تشييد المدينة الإسلامية

مرتبط بضوابط وشروط معمارية أساسية، و ضرورة توفر بعض المعالم العمرانية على رأسها المسجد الذي يعتبر النواة الأولى للعمران، ويقع في وسط المدينة، و هو مكان لأداء فريضة الصلاة، و مقر لاجتماع سكان المدينة، لتداول أمورهم الاجتماعية والاقتصادية وتعليم أبنائهم مختلف العلوم العقلية والنقلية.

لقد كان ظهور المسجد قبل ظهور المدارس و الزوايا في المغرب الإسلامي عموما حيث كان هو المؤسسة التي تستقبل الطلبة و المصلين في حلقات درس داخل المسجد، فكان بذلك عبارة عن جامعة أو معهد بالإضافة إلى كونه مقرا للعبادة تلقى فيه دروس الوعظ و الإرشاد وتعقد فيه حلقات البحث، وتنظم فيه المناظرات العلمية، و الحوارات الفقهية، و المطارحات الأدبية واللغوية ودروس الوعظ و الإرشاد والإفتاء، و يجتمع فيه أصحاب المصالح العامة و الخاصة، كما كانت تقرأ فيه البلاغات الرسمية في للدولة، ويجتمع فيه الأولياء لتدبير زواج بناتهم و أبنائهم، و تمضى فيه العقود التجارية و تؤخذ إليه الجنائز قبل الدفن للصلاة عليها.

فالمساجد حسب تصنيف أرنست كونل تتميز بالأصالة و الوضوح و التطابق التام مع روح الإسلام الشاملة و الواضحة، فهو ساحة نظيفة مستوية ظاهرة يحيط بها سور وظيفته تعيين حدود المكان المخصص للصلاة.

لقد خضعت المدينة تيهرت إلى مخطط عمراني طبقت فيه أحكام الشريعة الإسلامية و قانون العمارة الإسلامية على غرار المدن الإسلامية، لهذا فأول ما شيد فيها هو المسجد الجامع الذي تم اختيار مكانه عن طريق القرعة، و يذكر أبو زكرياء يحي في هذا الصدد: "قصدوا إلى اختيار محل ليؤسسوا فيه المسجد الجامع قبل كل شيء، فانتخبوا أربعة أماكن و رموا القرعة عليها، فجاءت على المكان الذي أصلحوه للصلاة أيام إقامتهم في تنقية الأشجار.

و يذكر ابن حوقل:"تيهرت مدينتان كبيرتان إحداهما قديمة والأخرى محدثة، والقديمة ذات سور وبها جامع، و في المحدثة أيضا جامع"، و يقول المقدسي: "تاهرت اسم لقصبة...لها جامعان عن

ثلثي البلد قد بني بالحجارة و الجير"، و يقول ابن عذارى: "فنزلوا بموضع تيهرت...فبنوا مسجدا من أربع بلاطات".

أما مواد البناء التي استعملت في أول الأمر، فكانت عبارة عن خشب الشعراء الذي جلب من غابات المنطقة و طين كان يمد به الخادم إلى ابن رستم لإصلاح الشقوق عند وصول الوفد إلى المدينة، وهذا ما ذكره ابن الصغير أن وفد البصرة قد وجد بباب عبد الرحمن "غلاما يعجن طينا ورجلا على سطح يصلح شقاقا فيه، و الغلام يناوله ما يصلح به".

وهذا يدل على بساطة المواد المستعملة و فقر الدولة عند إنشائها، وسياسة عبد الرحمن القائمة على التواضع و التقشف، أما عن التخطيط للجامع فيذكر البكري أنه ظل على حالة إلى أيامه أو إلى أيام محمد بن يوسف الذي ينقل هو عنه مكونا من أربعة بلاطات، وما نلاحظه أن الرستميين خرجوا عن قاعدة بناء دار الإمارة بعد المسجد الجامع، فقد بنوا هذا المسجد حقا، لكن ابن الصغير لا يشير إلى وجود دار الإمارة في تيهرت حيث ذكر أن عبد الرحمن بن رستم كان يصرف أمور الرستميين في الجامع و بجانب مسجدها الجامع الموجود في المدينة، وجدت أيضا مساجد أخرى في الأحياء، وينسب بعضها إلى الأقليات التي استقرت بتيهرت، ومنها على سبيل المثال مسجد القرويين ومسجد الكوفيين وهذا ما يفهم من قول بن الصغير:"...فكان مسجد للقرويين وللكوفيين ومسجد للبصريين".

ويقول جودت عبد الكريم أنه بما أن كل جماعة كانت تسكن منفصلة عن الأخرى، كان لها مسجدها الخاص بها، إن المساجد كانت متعددة و كثيرة، وهذا نفهمه من قول أبي زكرياء:"فشرعوا في تأسيسها و اختطوها بيوتا و قصورا و أسواقا و مساجد".

كما أن الفرق الدينية التي وجدت في تيهرت كان لكل منها مسجدها و علماؤها وحلقات دروسها، فقد ذكر ابن الصغير:"...من أتى إلى حلقات الإباضية ناظروه ألطف مناظرة، وكذلك من أتى من الإباضية إلى حلقات غيرهم كان سبيله ذلك"، و قد وجد في تيهرت الأحناف، خاصة في

عهد عبد الرحمن بن رستم، وغالبيتهم من اهل الكوفة حتى أنهم بنوا مسجدا خاصا بهم سموه مسجد الكوفيين.

إن العمارة الدينية تشمل إلى جانب المساجد والجوامع المدارس، والتي تبنى عادة خارج المسجد، وقد تأخر ظهورها في بلاد المغرب إلى النصف الأول من القرن السابع الهجري، لهذا لم نجد لها أثرا في تيهرت في جل المصادر، خاصة و أن مدلول المدرسة يختلف عن مدلول الأماكن التعليمية والدينية السابقة لها كالمساجد والكتاتيب والرباط، وهو مفهوم ظهر مع ظهور المدرسة الشرقية في منتصف القرن الخامس الهجري في خرسان. فهي عبارة عن بناية مستقلة عن أي بناية عمومية كالمسجد والقصر وغيرها. و يمكن اعتبار العمائر الجنائزية من ضمن العمارة الدينية مثل المقابر و المدافن خاصة و أنه في تيهرت وجد مصلى خاص بالجنائز و هذا نفهمه من قول ابن الصغير عند حديثه عن أبي اليقظان، فيقول "وقد جلس خارج المسجد الجامع مما يلي الجدار الغربي، و رأيته يوما ثانيا في مصلى الجنائز، وقد رميت له وسادة من أدم، فجلس ينتظر فراغ دفن رجل مات من وجوه الناس".

وقد أكد المستشرق كدنا وجود مقبرة في الجهة الغربية من المدينة من خلال وجود مجموعة من الأحجار مندثرة هنا و هناك و منتظمة الإتجاه، إلا أننا نعلم أن المقبرة في المدينة الإسلامية موقعها يكون خارج المدينة، لهذا إذا أخذنا برأي "كدنا" فإننا نقول أنه أخذ توسع المدينة على حسابها، فارتبطت بالمساكن في الفترات اللاحقة من تطور المدينة، و هناك أيضا افتراض آخر لموقع آخر يرجح أنه كان مقبرة، و هو في الجهة الشمالية عند نهاية المنحدر في منبع إحدى العيون التي يمكن أن تكون عين "تاتش" التي ذكرتها المصادر التاريخية، و يتضمن هذا الموقع أحجارا مرتبة غير مبنية وضعت على هيئة القبور الصحراوية يرجح أن تكون مقبرة الأئمة لصغرها بالنسبة للمجتمع التيهرتي، ولا يوجد في هذه المقبرة أية كتابة تبرز أنها مقبرة الأئمة، و إن كان هذا صحيحا فإنه يعطينا فكرة عن عدم اهتمام الأئمة بقبورهم و تجميلها، و هو ما كان يحدث عند بعض الأسر، خاصة الغنية منها، و مازالت لحد الآن في تلمسان و قسنطينة، و هذه الظاهرة غريبة عن الإسلام.

2- العمارة المدنية:

وتشمل عدة معالم عمرانية ومرافق عمومية، ومنها ما هو متعلق بالعمائر السكنية، مثل القصبة و الدور و القصور و الضياع، و منها ما هو متعلق بالنظافة و الصحة كالحمامات، و منها ما يتعلق بالتجارة و المنافع العامة كالخانات و الفنادق و الأسيلة و السبل و غيرها من المرافق والمنشآت الضرورية نذكر منها:

- **الدور و المساكن:**

تخضع مساكن بلاد المغرب الأوسط إلى عاملين يحددان طرازها و أثاثها، و هما يتمثلان بالتراث المتوارث عبر الأجيال، و المستوى الحضاري الذي بلغه المسلمون في القرنين الثالث و الرابع الهجري، و هي إن اختلفت من منطقة إلى أخرى، و قد كانت بعض المنازل تبنى بالطوب، وأخر بالحجارة المنحوتة، أما سقفها فكانت من الخشب كبيت الإمام يعقوب بن أفلح، كما كانت المنازل متلاصقة، ليكون بالإمكان إحاطتها بسور، وتشقها أزقة و شوارع تؤدي إلى الساحة العامة، و الأسواق وأبواب المدينة، و يتكون المنزل من عدة حجرات، أما بابها فمن خشب، ويتكون عادة من مصراعين يسمح بدخول الأحمال، أما أثاثها فيتكون من فراش محشو بالصوف و الريش، و الحصير بحيث كان في بيت عبد الرحمن بن رستم حصير فوقه جلد، وهذا ما ذكره ابن الصغير ابن الصغير بقوله: "فوجدوا رجلا جالسا على حصير فوقه جلد و ليس في بيته شيء سوى وسادته التي ينام عليها وسيفه و رمحه وفرسه مربوط في ناحية من داره، و كان القنديل ضروريا جدا في البيت، يضاء باستعمال الزيت كوقود له، و كانت الدور تتألف كل منها من عدة بيوت، فقد ذكر ابن حوقل: "أن لسكان تاهرت مياه كثيرة تدخل عن أكثر دورهم"، وعلى كل حال فإن تيهرت اتسعت وتطورت حيث ذكر ابن الصغير: "واتسعوا في البلاد وتفسحوا فيها و أتتهم الوفود و الرفاق من كل الأمصار و أقاص الأقطار، ليس أحد ينزل بهم من الغرباء إلا استوطن معهم و ابتنى بين أظهرهم...حتى لا يرى دارا إلا قيل إنها لفلان الكوفي و هذه لفلان البصري وهذه لفلان القروي..." ، وقد اكتشف جورج مارسيه ودوسوس لامار عدة مبان تتكون من عدة غرف، أخذت كلها شكلا مستطيلا مع عدم وجود الأعمدة و

الدعامات، و هذا راجع إلى مادة التسقيف حيث تذكر لنا المصادر التاريخية أنه استعمل الشعراء في التغطية، و هذا ما لم يسمح للغرف بأن تكون عريضة لصغر طول خشب التسقيف، فجاءت الغرف ضيقة أعطت لها ميزة خاصة.

و على العموم كانت نوعية و طبيعة السكن تتحدد تبعا للمستوى الحضاري و حسب معيشة المجتمع، لهذا نلاحظ نوعين من المساكن في مدينة تيهرت، مساكن البادية، و مساكن المدن.

- **القصور:**

تعتبر القصور ظاهرة حية تعبر عن المستوى الحضاري العالي و الذي بلغته المنطقة، و هي نتيجة الثراء، نظرا لما عرفته مدينة تيهرت من رخاء اقتصادي، و خاصة في عهد الإمام أفلح حيث تنافس الناس في البنيان، حتى أنه ابتنى الناس القصور و الضياع خارج المدينة.

وقد كان للإمام أبي بكر قصره، ولأبي اليقظان كذلك، ولكبار الشخصيات في المجتمع الرستمي قصورهم، فهذا صهر للإمام أبي بكر محمد بن عرفة القيرواني كان له قصر محاط بالبساتين والأشجار، ولمحمد بن حماد الإباضي بيت كبير على بعض أميال من العاصمة تيهرت، يقال له "المثلث" محاط بالمزارع و الأشجار و الأنهار و النخيل، و كان لأبي حاتم قصر على نهر مينة، وكانت تبنى وسط البساتين وعلى ضفاف الأنهر ليضفي عليها جمالا و رونقا أكثر.

ويظهر الاهتمام و التنافس على بناء القصور من خلال ما ذكره ابن الصغير: "فابتنى أبان وحمويه القصرين المعروفين لهما بإملاق، و ابتنى عبد الواحد قصره الذي يعرف به اليوم و غيره مما يطول ذكره، ولقد حدثني بعض من أثق به أن أبان و حمويه خرجا يوما إلى قصورهما متنزهين ومعهما جماعة إخوانهما، فذكر بعضهم أنه قال، لما أشرفنا على القصرين سبق بنا بعض عبيدهما فأعلموا ناس القصرين بقدومهما قال فتشوف من كان بالقصرين بهما، فو الله ما رأيت شرافة من القصرين إلا عليها ثوب أحمر و أصفر على الجدار كالبذور، و انتشرت القبائل و عمرت العمائر، و كثرت الأموال بأيديهم، و كانت العجم قد ابتنت القصور و نفوسة قد ابتنت العدوة و الجند القادمون من افريقية قد بنت المدينة العامرة اليوم".

هذا النص يبين لنا أن تيهرت تعددت بها القصور حتى بالنسبة للعجم و للجند الوافدين إليها من افريقية، و أنها كانت لا تخلوا من المتنزهات و الحدائق و البساتين، و هو ما يوحي عن سمو في الذوق ورقة في الشعور، وقد رافق ظهور المنتزهات في تيهرت تطورها الحضاري و الاجتماعي والاقتصادي.

- **الدروب:**

كانت تيهرت كغيرها من مدن المغرب الإسلامي تحتوي على دروب و شوارع و ساحات عمومية أطلق عليها أسماء الفئات التي تقطنها، مثل درب النفوسيين، وعدوة نفوسة ورحبة القرويين، ولعل ما يثبت وجود هذه الدروب و الساحات وصف المقدسي لتيهرت في القرن الرابع الهجري أي بعد سقوط دولة بني رستم، و بعدما فقدت تيهرت جزء هاما من سكانها و حضارتها حيث قال: "انتعش فيها الغريب واستطابها اللبيب، يفضلونها على دمشق...و قرطبة...و من دروبها المعروفة أربعة، درب "مجانة"، درب "المعصومة"، درب "راها" درب حارة الخفير، درب البساتين.

يعتبر وصف المقدسي شاملا لتيهرت رغم أنه عرف بالاختصار عندما يصف مدن المغرب الإسلامي لأنه لم يزره، بل اكتفى بما وصله من مؤلفات المشارقة أو أخبار من المغاربة الذين رحلوا للمشرق لأن النص لا يرتبط بعصره بل بالقرن الثالث الهجري الذي وصلت فيه الدولة الرستمية إلى مراحل قوتها، لكن في عصره عرفت هذه الدولة الحروب المتواصلة و تدمير منشآتها، حيث تحولت من مدينة ذات حضارة إلى ثكنة عسكرية.

وما يؤكده لنا هذا النص هو أن المدينة كانت تحاف بمجموعة من الأحياء و كل حي يحتوي على جميع المرافق و المنشآت الضرورية من ساحات و أسواق و مساجد، و ذكر ابن الصغير عن عهد أفلح : "وأمنت الساحات و كثرت الأموال".

- **الفنادق والخانات:**

جاء في كلام أبي زكرياء أن الرستميين شرعوا في تأسيس تيهرت و اختطوها بيوتا و قصورا وفنادق، وفيما يتعلق بالخانات، فإن ابن حوقل هو الوحيد الذي أشار إلى وجودها في تيهرت، وهي

تعود إلى عهد الدولة الرستمية حيث كانت القوافل تأتيها من المشرق والمغرب و بلاد السودان الغربي والواحات الصحراوية مما يقتضي وجود خانات لإقامة هؤلاء، و هي تحتوي على غرف للسكن و مخزن للسلع وإسطبلات للمواشي، و لعل الحفريات التي ستقوم في المستقبل ستؤكد ذلك.

كما يظهر وصف ابن حوقل أن مرافق تيهرت الحديثة أكثر من الأولى، فهي تحتوي على مرافق عاصمة للدولة حيث يقول: "...و التجار و التجارة بتيهرت المحدثة أكثر و لهم...بساتين كثيرة... وخانات".

- **الحمامات و خزانات المياه:**

يعتبر الاغتسال في الحمامات ظاهرة قديمة، عرفته الشعوب القديمة كالمصريين و الكنعانيين واليونانيين و الرومانيين، و قد وصلت هذه العادة إلى سلوك المسلمين مبكرا، لأن الإسلام يحث على الاغتسال والطهارة ، و أصبحت هذه المؤسسة الاجتماعية مرتبطة ارتباطا عضويا بالنظافة وبفريضة الوضوء، و لذا اعتبرها الفقهاء من الأماكن الدينية، لأن الطهارة لا يستغني عنها المسلمون و لا يمكنهم أداء فريضتهم إلا بها، فكان المسلمون يترددون باستمرار على الحمامات لتطهير أجسامهم وتنظيفها، و كانت الحمامات في أغلب الأحيان تلحق بالبناءات الدينية والاجتماعية بما في ذلك بيوت الله، و كانت تيهرت تحتوي على حمامات كثيرة بلغت اثني عشر حماما، و هذا ما ذكره البكري بقوله عن تيهرت: "و بتاهرت بساتين كثيرة وحمامات كثيرة يسمى منها اثنا عشر حماما وحواليها من البربر أمم كثير"، و هذا ما أكده أيضا ابن حوقل بقوله: "و لهم (سكان تيهرت) بساتين كثيرة وحمامات"، و من خلال الحفريات تبين وجود هذه الحمامات، فمثلا حفرية سوفي التي اكتشفت مبنى في مستوى أعلى من القصبة يفترض أن يكون حماما لما له من مميزات، لكن لعدم وجود أي تقرير من الباحثة عن هذا الحمام، نكتفي بوصف سطحي له حيث يتكون من ثلاثة غرف تشكل الأولى مربعا لها أرضية مبلطة بالآجر ذو المقاسات التالية:

- **السمك**: 4.9 سنتيمتر – الطول: ما بين 26.5 سنتيمتر إلى 28 سنتيمتر – **العرض**: بين 13.5 سنتيمتر إلى 14 سنتيمتر.

و تحيط بها جدران يتراوح علوها ما بين 0.80 متر إلى 1.20 متر و من خلال مدخل بارز بعرض 0.65 متر تدخل إلى الغرفة الثانية التي تأخذ شكلا مستطيلا و به فرن أرضي غطي بحجارة كبيرة، و يحتوي هذا الفرن على أربع فتحات للتهوية يفترض أن تكون هذه الغرفة الساخنة، و في الجهة الشرقية للغرفة الساخنة يوجد هيكل مستطيل يحتوي على حوض به أرضية مغطاة بالآجر، وبجواره قناة تتجه من الجنوب إلى الشمال يعتقد أنها لصرف المياه لأنها مائلة قليلا نحو الخارج.

و ما نستنتجه أن المصادر التاريخية أكدت كلها على وفرة المياه في تيهرت، فهذا ابن حوقل مثلا يقول: "أن لسكان تاهرت مياه كثيرة تدخل على أكثر دورهم"، و هذا ما جعلهم يهتمون بغرس البساتين، فإن إباضيي العراق في رحلتهم الثانية إلى تيهرت وجدوا الأمور قد تبدلت والأحوال المدنية والأشياء قد حالت و ذلك أنهم نظروا إلى قصور قد بنيت و إلى بساتين قد غرست، كما أن وصف المقدسي لتيهرت: "قد أحدق بها الأنهر، و التفت بها الأشجار و غابت في البساتين ونبعت حولها الأعين"، تبين اهتمام سكان تيهرت بغرس الأشجار حول المدينة فزادت بها البساتين و هذه الظاهرة تكاد تكون عامة بالنسبة للمدن الجزائرية خلال العصور الوسطى وحتى الحديثة، فالبساتين كانت تزود تلك المدن بما تحتاج إليه من خضر و فواكه و حتى الحليب و مشتقاته لوفرة الأبقار والأغنام بتلك الضيعات و تربية النحل فالعسل كان كثيرا و سائر غلاتها كانت مباركة، و قول الإدريسي في ذلك: "و بمدينة تاهرت مياه متدفقة و عيون جارية تدخل أكثر ديارهم و يتصرفون فيها" يظهر لنا أن سكان تيهرت استفادوا من هذه المياه الكثيرة، فأوصلوها إلى دورهم و أقاموا عليها بساتين و أشجارا عن طرق قنوات وخزانات من الفخار المطلي، و هذا ما دلت عليه الحفريات خاصة في الجزء الموجود جنوب الطريق الوطني رقم 11 والذي يربط تيارت بمشرع الصفا، وقد عرف هذا الجزء تشويها كبيرا خاصة في الجهة الشرقية منه بسبب تشييد القرية الفلاحية، و التي دمرت آثارا و أشكالا عديدة لبنايات مغمورة تحت التراب قضت عليها أسس هذه القرية الجديدة.

ففي الجهة الغربية من القرية وجدت بقايا الخزانات التي قام فيها جورج مارسيه و دوسوس لامار بحفريتهما وهي في مجموعها خمسة خزانات، و يفترض جورج مارسيه أن لهذه الخزانات دخلات

بعرض 0.18 متر تحمل حنفيات يراقب منها مستوى المياه خاصة في موسم الجفاف، إلا أن عبد القادر دحدوح نفى هذه الفرضية بقوله أن هذه البقايا لا يمكن اعتبارها خزانا و إنما حماما لعدة أسباب منها:

– لوجوده بعيدا عن أسوار القصبة و الحصن، فلو كان خزانا وضع تحسبا لأي حصار لوضع بالقرب منهما و تحت حمايتهما.

– احتواؤه على غرف عديدة و بمقاسات مختلفة مفتوحة على بعضها البعض بأبواب، وهي ميزات تفتقد منها الخزانات التي عادة ما تكون ذات تخطيط بسيط مشكل من غرفة فتحت في أحد جوانبها فتحة صغيرة تسمح بمرور الماء.

– وجود مقاعد حجرية في إحدى غرفه و كوات صماء تتخلل جدرانه و في جميع غرفه من الداخل، فلو كان خزانا لما احتاج إلى تلك المقاعد و لما احتاج إلى تلك الكوات.

– احتواؤه على موقد ما زالت آثاره ماثلة إلى اليوم، و هذه ميزة من ميزات الحمامات عبر التاريخ.

– وجود باب يؤدي إلى الخارج، و هذا ما يجعلنا نتساءل عن الأسباب التي دفعت جورج مارسيه ودوسوس لامار إلى الاعتقاد بأن هذا المبنى خزان و هو مفتوح من الخارج، و هو إذن يعتبر البقايا المكتشفة تكون منها نطاق مدينة الأمير عبد القادر.

أما مواد البناء فقد استعملت الحجارة و الدبش بينما طليت الجدران بطبقة سميكة من الملاط، ونجهل ما إذا كانت هذه الخزانات مغطاة أو بقيت عارية، و نذكر أنه يجب أن تكون لها قنوات تجلب المياه و تصرف من خلالها و هذا ما لم نعثر عليه بعد، و وجودها خارج القصبة ليس من المعهود، فقد تكون هذه الخزانات في مرحلة متقدمة حيث اتسعت المدينة و جاءت الخزانات داخل الأسوار وشأنها شأن الخزانات في المدينة الإسلامية للاحتياط لأي حصار يرقب.

و قد ساعد تزويد أهل تيهرت بالمياه انحدار الأنهار من أعالي الجبال و كثرة الينابيع والعيون، و هذا ما نفهمه من قول اليعقوبي: "شرب أهل مدينة تاهرت من عيون يأتي بعضها من صحراء وبعضها من جبل قبلي يقال له جزول"، و قول البكري: "و هي في سطح جبلي يقال له

جزول...وهي على نهر يأتيها من جهة القبلة تسمى مينة و نهر آخر يجري من عيون تتجمع تسمى تاتش، و من تاتش شرب أهلها وبساتينها".

- **الأسواق:**

ذكر البكري: "و بتاهرت أسواق عامرة"، و في موضع آخر قال: "لها قصبة مشرفة على السوق"، إلا أن المقديسي يضيف لنا شيئا جديدا لهذه المظاهر العمرانية تتمثل في تحديد موقع الأسواق حيث ذكر: "بها (أي تيهرت) جامعان على ثلثي البلد...قريبان من الأسواق"، أي أن الأسواق قريبة من أماكن العبادة أي المساجد، و هذا ما نلاحظه أيضا أغلب المدن الإسلامية وأحسن مثال على ذلك تلمسان و قسنطينة وفاس و تونس.

ولقد كثرت الأسواق في تيهرت إلى درجة أن أطلقت أسماء بعض منها على الأشخاص حيث ذكر ابن الصغير سوق ابن وردة، و كذا بعض المدن التي نسبت إلى تيهرت مثل سوق ابن جبلة وسوق كري وسوق ابراهيم، و عن مدينة غزة يقول الإدريسي: "هي مدينة صغيرة القدر فيها أسواق مشهورة لها يوم معلوم"، و ذكر أيضا ابن حوقل بمثل هذا و قال: "هي مدينة صالحة"، ونفهم من هذا أنه كان لكل حي أو منطقة سوق خاص بها يسمى باسمها أو اسم شخص أو حتى باسم اليوم الذي تقام فيه السوق.

3- العمارة الحربية:

تشمل الأسوار و الأبراج و القلاع و الحصون و القصبات، و لعل من أهمها في تيهرت:

- **الأسوار و الأبراج:**

تحيط الأسوار و الأبراج بالمدينة عموما و تدور حولها من جميع الجهات، و هي التي تفصلها عن البادية و الحقول الزراعية و تحميها من الغزاة.

إن الدولة الرستمية رغم أنها حددت مسارها باتجاه المسالمة و حسن الجوارلكن هذا لا يعني أنها أهملت كلية تحصين مدينتها من الغزاة و تقوية ملكها و أمنها بالسلاح و الجيش، فقد أثار ابن الصغير مثلا الإمام عبد الرحمن أمر أن يجعل من معونة إباضية المشرق ثلثا في الكراع و ثلثا في

السلاح...و اشتروا للقوم الكراع و السلاح و قوي الضعيف...و خافهم جميع من اتصل به خبرهم، و أمنوا ممن كان يغزوهم من عدوهم و رأوا أنهم قادرون على غيرهم و من كانوا يخافون أن يغزوهم...".

لقد كانت تيهرت العاصمة السياسية و الإدارية و كانت في نفس الوقت قاعدة عسكرية محصنة بسور من حجر ذات قصبة محكمة التحصين قادرة على أن تصمد لكل هجوم يأتيها من الخارج.

لقد كانت حاجة المدن إلى بناء الأسوار ضرورية، يحتمون وراءها من الهجمات و اعتلوا الأبراج بحيث كانوا يرشقون منهم عدوهم، و لهذا وجب إحاطة كل مدينة تبرز إلى الوجود بسور، ورغم أن اليعقوبي يصف تيهرت دون أن يشير إلى إحاطتها بسور، و ابن حوقل أيضا رغم إشارته لتيهرت القديمة بأنها ذات سور فإنه لا يشير إلى محل وجود السور في تيهرت المحدثة، لكن ابن الصغير بإشارته إلى أبواب تيهرت يدل ذلك على أنها كانت محاطة بسور، و هذا ما ذكره البكري: "مدينة تيهرت مسورة و لها أربعة أبواب"، و قال صاحب الاستبصار: "مدينة تاهرت وهي مدينة مشهورة قديمة كبيرة عليها سور صخر (أي حجر) و لها قصبة منيعة"و يحتمل أن يكون قد بني من لبن و طين تأثرا بالفن المعماري القروي.

وقد كشفت حفريات جورج مارسيه و دوسوس لامار عن الأسوار والأبراج وهو ما لاحظه في الجزء المهم الذي به أكثر الآثار إذ به شكل مستطيل طوله 1100 متر و عرضه 400 متر يتكون من سور يحيط به من كل الجهات و بني بالحجارة المطروقة في صفوف مستقيمة و يتخلل السور من الداخل أكوام من الأحجار تبين استمراره و يعلوه انتفاخ في نقاط عديدة متساوية الأبعاد، يعتقد أنه مكان أبراج ثانوية مكونة للسور، أما في الزاوية الشرقية من السور فتظهر كومة من الأحجار المتراسة على شكل مستطيل قد تكون الجزء السفلي للبرج الرئيسي، و في الركن الغربي أيضا مبنى من الأحجار غير منتظمة في شكل مربع تقريبا قد يكون هو الآخر البرج الرئيسي الثاني.

لهذا يجب إجراء حفريات منتظمة للكشف عن قواعد و أسرار هذه الأسوار و الأبراج وإلى ذلك الحين تبقى هذه مجرد افتراضات فقط.

- **القصبة:**

وهي الحي الذي يسكنه الأمير أو الإمام أو السلطان و أسرته و حاشيته و جنده، مكونة من مباني مخصصة لهذه الطبقة الاجتماعية التي تتصدر الهرم الاجتماعي في المدينة و تتربع عليه و لها أبواب خاصة بها، و قد ذكر المقديسي أن "تاهرت هي اسم لقصبة، هي بلخ المغرب"، و ذكر البكري أن "لتاهرت قصبة مشرفة على السوق تسمى المعصومة"، و قال صاحب الاستبصار:" مدينة تاهرت مدينة مشهورة قديمة كبيرة عليها سور و لها قصبة منيعة تسمى المعصومة"، و شرح سليمان الباروني قول أبي اسحاق الفارسي عن تيهرت: "و مدينة كورة اسمها تاهرت و هي مدينة كبيرة"، بأن الكورة هي اسم لكل صقع أي ناحية تشمل على عدة قرى، ولها قصبة أي مدينة ينسب ذلك الصقع كله إليها كما هنا، و ما نستنتجه من قول المقدسي و شرح سليمان الباروني لقول أبي اسحاق الفارسي أن مدينة تيهرت هي نفسها القصبة وتضم عدة أحياء و قرى، و ليس كما نعرفه أن القصبة هي جزء من المدينة أو كما عرفها عبد العزيز فيلالي.

و ما ورد لدى هؤلاء أكدته حفريات الأثريين جورج مارسيه و دوسوس لامار حيث اكتشفا سور المدينة الذي كان محاطا بهيكل مستطيل الشكل اعتقدا أن يكون هذا المستطيل هو القصبة، أو بعبارة أخرى أول تمركز للمدينة في مرحلتها الأولى دون التوسعات التي عرفتها في الفترات اللاحقة خاصة فترة أفلح بن عبد الوهاب حيث بنيت القصور و اتسعت البلاد، و من مميزاتها أنها بنيت بأحجار مطروقة مستوية، وتحتل شكلا مستطيلا يصل طوله إلى 100 متر تقريبا و عرضه إلى 33.65 مترا من خلال تقرير الباحثين جورج مارسيه و دوسوس لامار.

و رغم عدم ظهور الأسوار التي تحيط بالقصبة، توصل الباحثان إلى وضع فرضية للمدخل الرشيسي في الجهة الشمالية الشرقية، و هو عبارة عن ممر على جانبيه مقاعد حجرية، و يؤدي المدخل مباشرة إلى ساحة في الوسط طولها 53.20 مترا و عرضها 22 مترا يحدها من الجوانب

الأربعة غرف تختلف مقاساتها و اتجاهاتها من غرفة إلى أخرى، و على يسار المدخل مباشرة في الجهة الشمالية الشرقية غرفتان عريضتان خصصتا للاستقبال، و من الجهة الجنوبية الشرقية حوالي خمسة غرف، غرفة بها مدخلان يعتقد أن تكون غرفة الحرس أو الإسطبل، و تحتل أيضا الجهة الجنوبية الغربية غرف يصل عمق الواحدة منها 4.50 مترا وعرض يتراوح ما بين 2 متر إلى 2.50 متر، و قد عثر في غرفة على فحم اعتبرها الباحثان مطبخا، والغرف المجاورة لها ملحقات، و في الجهة الشمالية الغربية غرف طويلة عمقها 20 مترا و عرضها 2.75 مترا يعتقد أن تكون مخصصة للتخزين يقطعها ممران بهما سلالم، مما يؤكد وجود طابق علوي للقصبة يحتمل أن يكون على نفس تخطيط الطابق الأرضي، أما مواد البناء المستعملة، فقد غطيت أرضيت الغرفة بالآجر وطلاء من الجير، أما الجدران فطليت بطلاء أملس، أو استعملت في هذه القصبة تقنيتان للبناء، الأولى عبارة عن أحجار مختلفة الأحجام تتخللها أحجار صغيرة وفي اتجاهات مختلفة، أما الطريقة الثانية فهي عبارة عن أحجار متساوية ومطروقة بطريقة متقنة، و يرى الباحثان أن هذه القصبة لها نفس تخطيط القصور الأموية باتخاذها فناء كبيرا و غرفا طويلة على الجانبين و كذا المدخل الرئيسي بمقاعده الحجرية، نذكر أن الوصف الذي قدمه الباحثان و المخطط الذي وضعوه لا نجد له أثرا في الموقع سوى بعض البقايا، لما عرفته من تدهور و تدمير أفقدها معالمها الأساسية.

لكن اليعقوبي و ابن الصغير لم يشيرا إلى وجود قصبة في تيهرت مع أنهما ذكرا عددا من القلاع والحصون سنذكرها لاحقا، وهذا يجعلنا نستنتج أن ما اكتشفه الأثريان جورج مارسيه ودوسوس لامار يرجع إلى فترات متأخرة من العهد الرستمي، وهذا ما لاحظه أيضا موسى لقبال، حيث رأى أن بعض المنشآت التي ورد ذكرها عند الجغرافيين و الرحالة العرب كقلعة المعصومة قد ظهرت في فترات متأخرة في العهد الرستمي، و ربما في العهد الفاطمي.

- **أبواب المدينة:**

لقد جرت العادة عند المسلمين أن يؤسسوا أبوابا في اتجاه المدن الكبيرة سواء داخل البلاد أو خارجها، ويسمونها في بعض الأحيان بأسماء هذه المدن مثل باب فاس في تلمسان.

أما بخصوص مدينة تيهرت، فقد أشار ابن الصغير إلى وجود أبواب المدينة، فنذكر باب الصفا بقوله عند دخول وفد البصرة تيهرت: "حتى دخلوا من الباب المعروف بباب الصفا...حتى وقفوا عليها و أصابوا عند بابها"، و أضاف "أن يعقوب بن أفلح أمر بأبواب المدينة فغلقت إلا بابا واحدا"، و يضيف البكري إلى باب الصفا أبوابا أخرى بقوله: "مدينة تاهرت لها أربعة أبواب، باب الصفا و باب المنازل و باب الأندلس و باب المطاحن".

ويشرح سليمان الباروني شرحا وافيا و باستحسان لأسماء هذه الأبواب بقوله: "ما ألطف هذه الأسماء و ما أحسن هذا التقسيم المحكم الذي لم يدع للازدحام مجالا، إذ خصص لكل شغل من هذه الأسماء الأربعة التي عليها مدار حركات الناس بابا، فالذين ينقلون أنواع الحبوب لأجل الطحن لهم باب المطاحن و الذين يريدون السفر أو عبور البحر إلى الأندلس من التجار و غيرهم لهم باب الأندلس، والمشتغلون بالعمل في البساتين لهم باب المنازل، والذين يريدون النزهة والرياضة البدنية وتسلية النفس لهم باب الصفا، و بهذا يعلم ما كان في هذه المدينة من حسن الانتظام والترتيب"، ولا يستبعد أن هذه الأبواب الرئيسية كانت مصفحة بالحديد و لها مصاريع حديدية تغلق بها، و هذا نستشفه من قول ابن الصغير عن الإمام أفلح بن عبد الوهاب: "وابتنى القصور واتخذ بابا من حديد".

و يحدد أحمد سليماني موقع هذه الأبواب على الشكل التالي:

- باب الصفا من الجهة الشرقية.
- باب المطاحن من الجهة الغربية.
- باب الأندلس في شمال المدينة.

باب المنازل في جنوب المدينة و تستعمله القوافل القادمة من الصحراء.

- **الحصون و القلاع:**

دعت الضرورة الدفاعية إلى ظهور عدد من الحصون، و قد كانت منتشرة في أرجاء المغرب الأوسط، يلتجئون إليها حالة تعرضهم لهجوم خارجي، و بالتالي انتشرت حول تيهرت، و قد أشار

ابن الصغير إلى ذلك، فذكر حصن لواتة، وكان للرستميين حصنهم ب"نماليت" في طرف لواتة، يقع على نهر مينة، فيه مواشيهم و عبيدهم.

كما ذكر كل من اليعقوبي و ابن الصغير عددا من الحصون و القلاع المحيطة بها مثل اسكدال وتسلونت، حيث ورد في قول ابن الصغير أن: "محمود بن الوليد (ثائر بتيهرت) قد صعد إلى أعلى موضع بالمدينة يعرف بالكنيسة"، و قال أيضا أن أبا اليقظان: "أتى الظاهر المشرف على المدينة المعروفة بقلعة نفوسة"، وكان هناك أيضا حصن تالغمت خارج المدينة، وقد كانت الحاجة الملحة إليها خاصة أثناء الفتن التي شهدها عهد الإمام أبي بكر.

ومن القلاع المنتشرة في المغرب الأوسط، نذكر قلعة "ابن هرب" و قلعة "مغيلة" و منها حصن "برقجانة"، المعروف بتيهرت القديمة.

و هكذا نستنتج أن الأئمة الرستميين و حكماء تيهرت اتخذوا القصور البديعة لسكناهم وأسسوا دولة شاملة و كافية بنيت دعائمها على البر و الإسلام و عملت على نشره و تعميم مظاهر الرفاهية والرخاء، فوسعت نطاق التجارة مع كل البلاد، و أقبل البربر و المسلمون على خدمة الأرض، فأصبحت مملكة تيهرت حديقة غناء فيها من كل فاكهة زوجان.

نستنتج من خلال عرضنا للمظاهر العمرانية أن اتساع دائرة تيهرت و عظم ملكها ودخول عدة مدن تحت طاعتها و ولائها، فقد كانت تيهرت شمالها و جنوبها و شرقها و غربها محفوفة بمدن كثيرة متحضرة و راقية، مما جعل المؤرخين و الرحالة ينسبون عدة مدن إليها و يتبعونها لها، و من هؤلاء، المقدسي الذي يذكر أهم هذه المدن فيقول: "ويقرب تيهرت مدينة تسمى رها، وقد خربت، وتنس مسورة عن البحر، شربهم من نهر، وقصر الفلوس و تيهرت السفلى أي القديمة على واد عظيم ذات أعين و بساتين، و افكان مسورة على واد جار ذات بساتين، و يلل و جبل توجان على ما ذكرنا سواء مسورة مما يدل على رقيها ذات بساتين، و هو دليل على حضارتها وعمرانها، ووهران بحرية مسورة يقلعون منها إلى الأندلس في يوم وليلة، ترى منها البرين، وهي أحد المقابر المشهورة، وجبل

زلاغ مدينة على جبل عال يطل على كورة فاس، بناها خلوف بن أحمد المعتلي وبقية المدن أكثر من مسورات ذات بساتين".

وهذا سليمان الباروني ينقل لنا نصا عن البشاري الحرفي ينسب ما يقارب أربعين مدينة لتيهرت بقوله: "و لتيهرت يمة، تاغليسة، قاعة ابن الهرب، خرارة، جعابة، غدير، الدروع، لماية، منداي، سوق ابراهيم، رهباية، البطحة، الزيتونة، تمما، يعود، الخضراء، واريفن، تنس، قصر الفلوس، بحرية، سوق كري، منحصة، أوزكي، تبرين، سوق بن مبلول، ربا، تاويلت أبي مغلول، تمزيت، تاويلت لغو، أفكان (و بها نهر يأتي إلى تيهرت)".

ومن خلال هذين النصين نستنتج بعض المدن التي نسبت إلى تيهرت ومنها مثلا مدينة إفكان التي يؤكد كل من الإدريسي و ابن حوقل على أنها كانت تابعة لتيهرت ومدن أخرى كتنس وشلف وحتى وهران.

ثالثا– مدن وحواضر أخرى في المغرب الأوسط:

❖ نماذج؛ تلمسان– بجاية– قسنطينة– مستغانم– تنس–مازونة– أشير